الصّراط

الرقم الـ ١١٥ شوال ١٤٤٥

اختيار وجبر الانسان
مقابل المجتمع

تاريخ الشيعة في البلاد
إيـــران

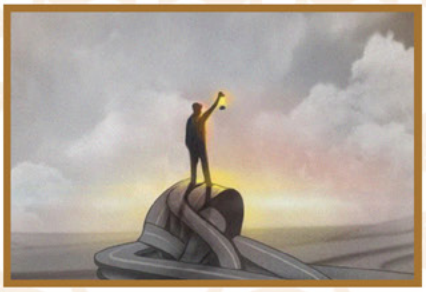

الغائية والصيرورة
في الفكر الديني

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:

«من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا ؛ يكتب له ثواب صلتنا، ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا؛ يكتب له ثواب زيارتنا.»

الشيخ الصدوق، «ثواب الأعمال»، ص ١٢٤.

«شهرية صراط الإلكترونية»

إيران – طهران

ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧

فاكس: ‎+٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:

email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:

www.mouood.org

https://www. facebook.com/mouood.org

الفهرس

منوعات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤

خليفة اللّه الإنسان الكامل: اختيار وجبر الانسان مقابل المجتمع / ٦

الشعر والأدب: أيها الصادق نبكيك أسى / ٨

الأسئلة والأجوبة: مؤسس المذهب الجعفري / ١٠

تقديم الكتاب: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات / ١٢

الدراسات الثقافية

الغرب وآخرالزمان: ناقدو الغرب - القسم الثالث / ١٤

العالم بين السادة والعبيد - أهم السلالات التي تتحكم وتسيطر على العالم: سلالات أخرى / ١٨

العولمة والعالمية المهدوية: العولمة والنظام العالمي الجديد / ٢٢

فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الفرسان وأنقاض الهيكل: القبالة، التقرب إلى الشيطان... / ٢٥

تاريخ الشيعة في البلاد: ايران - القسم الأوّل / ٢٩

الأسرة المهدوية: الأسرة المهدوية هي الأسرة القرآنية / ٣٤

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة: أمومة بديهيات العقل في المعرفة / ٣٦

التعاليم المهدوية: موضوعات تكميلية حول حياة المهدي عجل الله فرجه وشخصيته - القسم الرابع / ٣٤

اليوتوبيا والديستوبيا والدولة المهدوية الكريمة: الغائية والصيرورة في الفكر الديني / ٤٤

الامام المهدي عجل الله فرجه و مستقبل العالم: الإمام المهدي عجل الله فرجه والنبيّ يوسف عليه السلام - القسم الثاني / ٤٧

تكاليف الأنام في غيبة الإمام عجل الله فرجه: رعاية الأدب بالنسبة إلى ذكر الإمام عجل الله فرجه / ٥٠

الحياة الإيمانية

المستبصرون: تانيا بولينغ / ٥٢

التكافل الإجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: مبدأ الأخوة الإيمانية / ٥٤

التذكارات الإرشادية: الجليس الصّالح خير من الوحدة / ٥٦

الولد و الوالد: الاولاد والسعادة / ٥٧

معرفة الإمام

الشيعة و الحاكمون: بنو العباس - القسم السادس / ٥٨

خير البريّة: إخوانا على سرر متقابلين / ٦٣

كاتب إسرائيلي: حماس غيّرت مسار التاريخ

قال الكاتب الإسرائيلي **آلون مزراحي** إن حماس غيَّرت مسار التاريخ و«فلسطين» لن تعود للظل بعد اليوم، وإن الحركة الفلسطينية الصغيرة لم تهزم إسرائيل فحسب، بل هزمت الغرب بأكمله، خلال ستة شهور من الحرب.

جاء ذلك في تغريدة للكاتب الإسرائيلي المشهور عبر موقع «إكس»، قال فيها:

إن ما يزداد وضوحاً في هذه اللحظة الفريدة هو أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي وصفها بالحركة الفلسطينية الصغيرة، لم تهزم إسرائيل فحسب، بل هزمت الغرب بأكمله، وغيرت مسار التاريخ خلال الشهور الستة الماضية.

وعدّد الكاتب الإسرائيلي بعض أوجه الانتصار الذي حققته حماس، قائلاً إنها انتصرت في ميدان المعركة بقطاع غزة، وانتصرت في معركة كسب الرأي العام، واستفادت بشكل مذهل من قراءتها للعقلية الإسرائيلية، وتمكّنت بالإضافة إلى ذلك من استخدام كل ما لديها من موارد بكفاءة عالية.

وأضاف الكاتب الإسرائيلي أن:

الاحتلال لم يستطِع تدمير حماس أو تفكيكها، وما زالت تحتفظ تقريباً بكل الأسرى الذين اعتقلتهم قبل ٦ أشهر، ولم تستسلم لأي ضغط، وما زالت تعمل وفعالة، في قطاع صغير محاصر ومدمر تماماً.

وأشار الكاتب الإسرائيلي إلى أن التاريخ سيحكم على الأشهر الستة الأخيرة باعتبارها واحدة من أكثر الإنجازات العسكرية العبقرية والمذهلة في التاريخ العسكري كله، وهو أمر لا يمكن تصوره.

وخلص إلى أنه لا أحد كان يعتقد أنهم يمكن أن ينجحوا في هذا الأمر، لكنهم فعلوا ذلك وغيروا التاريخ إلى الأبد، مشيراً إلى أن فلسطين لن تعود إلى الظل مرة أخرى.

ومنذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م.، تشن إسرائيل حربا مدمرة على غزة خلّفت عشرات آلاف الضحايا المدنيين، معظمهم أطفل ونساء، ودمارا هائلا ومجاعة أودت بحياة أطفال ومسنين، وفق بيانات فلسطينية وأممية.

وتواصل إسرائيل الحرب رغم صدور قرار من مجلس الأمن الدولي يطالب بوقف فوري لإطلاق النار خلال شهر رمضان، وكذلك رغم مثولها للمرة الأولى أمام محكمة العدل الدولية بتهمة ارتكاب جرائم إبادة جماعية.

المصدر: شفقنا العربي.

انتهت اللعبة

قال الصحفي البريطاني، **ديفيد هيرست** إن الحجج التي ساقها حلفاء إسرائيل لتبرير مذابحها في «غزة» تحت ذريعة «الدفاع عن النفس» انهارت أخيرا، بعد ستة أشهر من الحرب التي حصدت أرواح أكثر من ثلاثة وثلاثين ألفا، وتشريد سكان القطاع.

وتحت عنوان «أيها المدافعون عن حرب إسرائيل على غزة، انتهت اللعبة»، كتب رئيس تحرير موقع «ميدل ايست آي» مقالا قال فيه إن الحلفاء المتحمسون، الذين يسمون أنفسهم أصدقاء إسرائيل، أدركوا أنهم أيضاً أصدقاء من ارتكبوا جريمة قتل عمال الإغاثة الغربيين، وأصدقاء الإبادة الجماعية، وأصدقاء الفاشية.

وأضاف أنه:

بعد مرور ستة شهور، بدأ ينهار بأسره ذلك الكيان الذي سمح للقوات الإسرائيلية بقتل ما يزيد على ٣٣ ألف فلسطيني، وجرح ما يزيد على ٧٥ ألفاً آخرين، وتشريد السكان الذين يزيد تعدادهم على ٢,٣ مليون نسمة، وتجويعهم، وهدم شمال غزة، وتدمير الخدمات الصحية.

المصدر: عربي ٢١.

اختيار وجبر الانسان مقابل المجتمع

بناء للنظريات الأربع التي وردت فيما يتعلق بأصالة الفرد والمجتمع، قيل: طبقا للنظرية الأولى يمكن القول أنه ليس عند الإنسان أي جبر اجتماعي، وليس هناك سوى القدرة الفردية، ولا يوجد شيء باسم القدرة الجمعية.

أما طبقا للنظرية الرابعة، فإن كل الشخصية الإنسانية الكلية للفرد والعقل الفردي والإرادة الفردية، والتي هي المبنى الأساس الاختياره، ما هي إلا شعاع من تجلي العقل الجمعي، والإرادة الجمعية، يقول **إميل دوركهايم** (عالم الاجتماع الفرنسي) والقائل بالأصالة الاجتماعية إلى هذا الحد:

الأمور الاجتماعية في الحقيقة أمور إنسانية ، خلافا لأمور من قبيل الطعام والنوم، وهي مرتبطة بالناحية الحيوانية عند الإنسان، وعلم البيئة عنده، وهي حصيلة المجتمع وليست حصيلة الفكر الفردي، والإرادة الفردية، ولها ثلاث مميزات؛ الميزة الخارجية، والميزة الجبرية يعني فرض نفسها على الفرد، والميزة الثالثة هي تشكيل وجدان الفرد وإحساسه وفكره وعاطفته، وصبغ هذه المسائل الفردية بصبغتها، والإجبار يستلزم التعميم والشمول.

أما طبقا للنظرية الثالثة، يعني القول بأصالة الفرد وأصالة المجتمع، ومهما بلغت قوة المجتمع، وتغلبت على القوة الفردية، فإن هذا الأمر لا يستلزم إجبار الأفراد في المسائل الإنسانية، والأمور الاجتماعية.

إن الجبرية عند دوركهايم ناشئة من إغفال مسألة أن أصالة الفطرة الإنسانية الناشئة من التكامل الجوهري للإنسان هي من صلب الطبيعة، إن هذه الفطرة تمنح الإنسان نوعا من الحرية والإمكان، بحيث تعطيه القدرة على العصيان، في مواجهة ما يفرضه المجتمع، وهذا هو الحاكم فيما يتعلق بالفرد والمجتمع، بنوع من «أمر بين الأمرين».

«القرآن» يعبّر في «سورة النساء آية ٩٧»، فيما يتعلق بالجماعة التي تدعي العجز والاستضعاف، في مجتمع «مكة»، وتعتبره عذرا في ترك مسؤوليتها الفطرية، ويعدون أنفسهم مجبورين في مقابل المجتمع الذي يعيشون فيه بقوله:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»

إن عذرهم ليس مقبولا بأي وجه من الوجوه، لأنهم كانوا – على الأقل – يستطيعون المهاجرة من الجو الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، إلى مجتمع آخر.

ويقول في مكان آخر في «سورة المائدة، آية ١٠٥»:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»

إذن بالنظرة إلى أن أفراد الإنسان يشكلون أجزاء هذا المجتمع، فهم يتمتّعون بالعقل والإرادة الفطرية، في الوجود الفردي والطبيعي للفرد وهو المقدم على الوجود الاجتماعي، يضاف إلى ذلك أن الاستقلال النسبي للأجزاء في تركيب المراتب «ما فوق الطبيعة» محفوظ، والفرد الإنساني يعني الروح الفردية ليست مسلوبة أو مجبورة في مقابل الروح الجمعي.

ميزان محدودية فضاء الحرية والإرادة الإنسانية

الإنسان في صلب حريته تحكمه محدوديات كثيرة. فيما يتعلق بصناعة ذاته ونظمه النفسية، وتبديل محيطه الطبيعي إلى ما هو مطلوب لذاته، وفي صناعة مصيره كما ينبغي ويريد، بحيث تكون حريته نسبية؛ أي أن الحرية تكون في دائرة محدودة حيث يمكنه من هذه الدائرة المحدودة أن يختار مستقبلا سعيدا أو يختار مستقبلا شقيا. ومحدوديات الإنسان من عدة أوجه:

١. الوراثة

إن الإنسان يولد في هذه الدنيا بالطبيعة الإنسانية، ولأن والديه من البشر، فإنه سيولد قهراكفرد من البشر، وسيرث حتما سلسلة من الصفات الوراثية من أمه وأبيه؛ كلون البشرة والعيون بالإضافة إلى الخصوصيات الجسدية الأخرى.

٢. المحيط الطبيعي والجغرافي

هذا المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وينمو – شاء الإنسان أم أبي – فإنه يترك سلسلة من الآثار القهرية في أعضائه وروحه الإنسانية، فجهة البرودة أو الحرارة أو الاعتدال كل واحدة منها توجب نوعا من الروحية والأخلاق.

٣. المحيط الاجتماعي

المحيط الاجتماعي عامل مهم في تكوين الخصوصيات الروحية والأخلاقية للإنسان. إن لغة الإنسان وآداب الدين والمذهب العرفية والاجتماعية، غالبا ما تكون هذه الأمور عوامل المحيط الاجتماعي الذي يفرض على الإنسان.

٤. التاريخ والعوامل الزمنية

الإنسان من ناحية المحيط الاجتماعي لا يقع تحت تأثير الزمن الحالي فقط؛ بل رن الزمن الماضي والوقائع والحوادث التي وقعت في الماضي لها تأثير كبير في نشأته وصناعة شخصيته.

دور الإنسان في مقابل هذه المحدوديات

في حين إن الإنسان لا يمكنه قطع علاقته كليا بالعوامل التي ذكرت سابقة، إلا أنه يستطيع أن يتمرد عليها إلى حد بعيد، بحيث يمكنه أن يحرر نفسه من قيودها الحاكمة، فحكم العقل والعلم والإرادة والإيمان يستطيع أن يحدث فيها تغييرات، ويطوّعها طبقا لحاجته وإرادته ويملك مصيره بيده.

المصدر: مهدي حشمتي، «خليفة الله الانسان الكامل مآثر الشيخ مرتضى مطهري»، دارالصفوة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ.

قصيدة في ذكرى استشهاد الامام جعفر الصادق عليه السلام تحت عنوان «أيها الصادق نبكيك أسى» للكاتب والاعلامي **حميد حلمي البغدادي**.

جعفر الصادق تاج المذهب
مذهب الحقّ الذي لم يرتب
وارث الوحي وسبط المصطفى
وسليل المرتضى المنتجب
وشذا الزهراء بنت الأصفيا
فاح بالعلم ولما ينضب
وزعيم الدين مصباح الهدى
وملاذ الوالهين الهرّب
صلوات الله تحويه رضى
قائدا خاض خضمّ الكرب
كيف لا وهو إمام ثائر
وأمين الله لم يسترهب
في زمان كان عبئا خانقا
ضام فيه البغي أبناء النبي
واباة الضّيم ماضون هدى
في قرى العجم وأرض العرب
مستنيرون بآل المصطفى
وضياء الصادقين الشّهب
ويل من غال إماما طاهرا
صادق الوعد شريف النسب
وله في الدين إشراق على
امم تهفو إلى طهر أبي
والمروءات ارتوت من نبعه
واستطابت منه عذب المشرب
أيها الصادق نبكيك أسى
مثلما نبكي لفقدان الأب
يا كريم النفس يا حقّا قضى
بسموم الحاقد المضطرب
أين منك الناقم الفظّ الذي
غال مجدا جاء من نسل نبي
وارتضى الظلم لآل طيّب
عترة المختار بيت الحسب
واعتلى حكما بلا حقّ ، لهم
يا لحقّ!! ليته لم يغصب
أيها الباكون أعلام الورى
ومصاديق النّهى والكتب
أسبلوا الدّمع بذكرى صادق
نال هضماً من شقيّ مذنب
واذكروا بالحزن ميراثا غدا
مغنما للفاسد المغتصب
فإلى طيبة نرنو أعينا
وقلوبا تكتوي باللّهب
يا إمام العصر هذي أدمع
هي والله احتجاج المغضب
أدمع أرّخت الحقّ الذي
لك يشتاق ولمّا يطلب

السؤال:
هل الإمام الصادق عليه السلام هو مؤسس المذهب الجعفري؟ وما سبب تسمية المذهب الشيعي باسمه عليه السلام؟

الجواب:
لاشك أن المذهب الشيعي يمثل حقيقة الاسلام الناصعة التي أشاد أسسها و قواعدها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله و التي ختمت بوصيته الرائعة في التمسك بالكتاب و العترة و الأخذ باذيال علي عليه السلام لدخول الباب التي ينبغي على المسلم الاهتمام بها و توفير الارضية المناسبة لدخولها على الوجه الصحيح.

توفر في عصر الامام الصادق عليه السلام من الشروط الموضوعية المناسبة التي أتاحت له عليه السلام بنشر الفكر و المعارف الدينية بحرية أكبر و بطريقة أشمل ما لم يتوفر لمن سبقه من الائمة عليهم السلام، و المؤشر على ذلك التحول الكبير في الحركة التبليغية في عصره أن ما يقرب من سبعين بالمئة من الروايات الفقهية رويت عن طريقه عليه السلام، و لم يقتصر الأمر على المذهب الشيعي في استغلاله لهذه الفرصة الذهبية بل نجد المذاهب الاخرى قد أرست قواعدها في تلك الفترة. من هنا يمكن القول بان ذلك العصر مثل عصر تأسيس المذاهب الفقهية في الاسلام.

من هنا عندما يوصف المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري فانما تنطلق التسمية من هذه الحيثية فقط و أنها ناظرة الى الجانب الفقهي في مقابل المذاهب الفقهية الاخرى، و الا فان قواعد المذهب و اصوله الكبرى عامة و أصل الإمامة خاصة تمد بجذورها الى عصر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله من جهة، و من جهة أخرى لم يكن التشيع يوما ما في عرض المذاهب الاسلامية الاخرى؛ لاننا نعتقد بان المذهب الشيعي نسخة متطابقة مع ما جاء به الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله من تعاليم و مفاهيم دينية.

سبب تسمية المذهب الشيعي باسم الامام عليه السلام

اتضح أن مصطلح المذهب الجعفري لا يعني بحال من الاحوال كون الانطلاق الاولى للمذهب الشيعي تعود الى عصره عليه السلام كما يؤرخ لسائر المذاهب الأخرى التي تتبع أول مؤسس لها، بل حقيقة الأمر أن التشيع و كما هو ثابت في محله، ينطلق من عصر النبي صلى الله عليه وآله الذي رسم الخطوط الاساسية له و التي تتمثل بخطوط الاسلام، فلا يوجد عندنا ثنائة إسلام و تشيع قطعا، غاية ما في الأمر توسع الجانب الفقهي و انتشاره و كثرة الطلاب الناهلين من نمير منبع الاسلام العذب، قد توسع في عصر الامام الصادق عليه السلام. و نحن اذا تأملنا في التسمية نراها تسمية توصيفة لا أنها بصدد تثبيت كون الامام الصادق عليه السلام هو المؤسس الاول للمذهب الشيعي كأبي حنيفة او مالك. و إن كنا نعتقد جازمين بانه لو كان الامام الصادق عليه السلام هو المؤسس للمذهب الشيعي، يكون ذلك حجة علينا و لا تختلف القضية قيد أنمله عما هي عليه الآن؛ لانهم عليهم السلام حجج الله على العباد و ما يصدر عنهم حجة على المسلمين جزما.

جميع الائمة المعصومين عليهم السلام، ومنهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، على حد سواء من حيث المنزلة، غير أنه من الملاحظ نسبة المذهب الشيعي إلى الإمام جعفر الصادق دون غيره، فيقال «المذهب الجعفرى» أو «الطائفة الجعفرية»، فان جملة من الأسباب تقف وراء ذلک، أهمها:

أولا: إن زمن استقلاله بالإمامة قد جاوز الثلاثين عاما وهذه الفترة الطويلة نسبيا قد مكّنته من تأسيس العلوم الرئيسية للمذهب الشيعي.

ثانيا: إن أيامه كانت أيام حراک ثقافي واسع ونشاط علمي وفقهي، حيث الكلام والمناظرات، والحديث والرواية، والبدع والضلالات، والآراء المختلفة والمذاهب المتنوعة، وهذه فرصة جديرة بأن يبدى العالم فيها علمه، فكان لنقاشه ومناظراته أثر كبير في تكوين علم الكلام الشيعي، وتحديد معالمه.

ثالثا: إنّه مرّت عليه فترة من الرفاهيّة على بنى هاشم لم تمرّ على غيره من أئمة الشيعة، فلم يتّفق له على الأكثر ما كان يحول دون آبائه وأبنائه من الجهر بمعارفهم بالتضييق عليهم ومنع الناس عنهم ومنعهم عن الناس من ملوک أيامهم.

رابعا: انشغال الدولة العباسية في تطهير الأرض من بنى أمية وبالتالى لم تعن كثيرا بالحركات الدينية والثقافية، فوجد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ذلک فرصة مؤاتية لنشر معارفه وآرائه التي أثرت أثرا كبيرا في تكوين الملامح الأساسيّة للمذهب الشيعي. لهذا ولغيره من الأسباب صارت الطائفة الشيعية تنسب إليه وتسمى باسمه.[1]

الهامش:
١. «الإمام جعفر الصادق»، محمد الحسين المظفر، ج ١، صص ١٨٤-١٨٦.

المصادر:
١. إسلام كوئست.نت.
٢. قناة الكوثر.

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات

الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري الأصبهاني في «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» وأمثاله، دونت حياة علماء الإسلام، وكان ينبغي أن تدون، لماذا؟ لما فيها ما فيها من الدروس والتجارب والعبر للأجيال.. ولكي يتم لنا تصور الفوائد المترتبة على ذلك نقف معا عند هذه الكلمات:

الأولى: وهي سيدة الكلمات لسيد البلغاء أميرالمؤمنين علي عليه السلام، حيث جاء في كتابه إلى ولده الحسن المجتبى عليه السلام قوله: «**إنه، وإن لم أك قد عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمارهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني، بما انتهى إلي من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره..**»[1]

الثانية: هي لابن العودي – أحد تلامذة الشهيد الثاني – حيث قال: إن من أحق ما أودع في الطروس، وتوجهت إليه النفوس، من فن التواريخ المحفوظة، والسير الملحوظة، تواريخ العلماء الأعلام، والفضلاء الفخام.. فكان الواجب على الخلق – مع ما يترتب على حفظ تواريخهم... – إحياء ذكر مشايخهم، بنقل أحوالهم.. ليكون ذلك تذكرة على مر الأعصار، ووسيلة إلى وقوف من يأتي على ما يتعلق بهم من محاسن الأخيار.

الثالثة: وهي للميرزا النوري، حيث كتب:

فإن في ذكر السلف الصالحين، والعلماء الراسخين، الذين اهتدوا بنور أئمتهم، واقتفوا آثارهم، واقتدوا بسيرتهم، وأناخوا رحلهم بفنائهم، ولم يشربوا من غير كأسهم وإنائهم، تذكرة وموعظة للخلف الباقين، وأنسا وتسلية للاحقين، وإعانة لهم على الصعود إلى مدارج الكمال، والعكوف على صالح الأعمال. وفيه – مع ذلك – إحياء ذكرهم، الذي فيه ذكر أئمتهم وسادتهم، وإتمام لنورهم الذي اكتسبوه من ولايتهم، وعمل بما ورد من الحث على

مجالستهم ومخالطتهم، والحض على محادثتهم؛ فإن المسرح طرفه في أكناف سيرة من غاب عنه وما هو عليه من العلم والعبادة، والفضل والزهادة، كالمجالس معه المستأنس به، في الانتفاع بأقواله وحركاته، واقتفاء آدابه وسيرته.[2]

أما الكلمة الرابعة – والأخيرة هنا .: فهي للمؤلف الذي كتب في مقدمة كتابه روضات الجنات هذه العبارات المعللة والمبينة لسبب تأليفه، حيث قال:

وضعته بعد التتبع لأكثر ما قالوا وأطالوا، والتطلع إلى غير الذي اطلعوا ونالوا.. إجابة التماس بعض أخلائنا الأعاظم، بل طاعته التي هي علي من آكد اللوازم.. مع ما في ذلك كله من عظة الناظرين، وعبر الذاكرين، وعدة الفاكرين، وجدة الشاكرين، ونظرة للقلوب الكمدة، وقرة للعيون الرمدة، بل تشويق الغرائز إلى التحصيل، وتحريض القرائح على التكميل، وإطابة النفوس الحاسرة، وإصابة العقول القاصرة، وتعظيم شعائر الدين، وتكريم أكابر المرشدين، ورعاية حقوق كبراء الإسلام، والبراءة عن عقوق الفضلاء الأعلام، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى، والعوائد التي لا تستقصى.

وهذا الكتاب هو أحد معالم تاريخ هذه الأمة التي ينبغي أن لا تنسلخ عن وعاء ثقافتها ومنشأ حضارتها، فالتاريخ مرآة الزمان، والتراجم مرقاة للمشاركة في هذه المشاهدة، وأخبار الماضين هي صفحات من التاريخ يعيشها المرء بين الاعتبار والاعتزاز.

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى
توهمته قد عاش في أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره
إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما
كريما حليما.. فاغتنم أطول العمر

ولبعضهم تعليقة على كتاب روضات الجنات يقول فيها:

قل ما يوجد كتاب واحد جامع بين الطبقات، نعم حاول ذلك ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان»، واقتفى أثره الصفدي في «الوافي بالوفيات»، ثم جاء السيد الخوانساري فترجم للعلماء والأدباء الخواص من المتقدمين والمتأخرين، حتى أصبحت «الروضات» مصدرا دائرا لمعظم العلوم والمعارف، وينبوعا تغترف منه أحوال العلماء، لا سيما وهو يلبي حاجة الفقهاء والباحثين، والأدباء والمؤرخين.

وقد سلك المؤلف في الضبط والتدوين مسلك من تقدمه، وجاء بالتراجم على سبيل حروف المعجم، مع مراعاته ذلك في الكلمة الثانية بعد اسم المترجم له، وزاد في نهاية كل ترجمة ترجمة من يوافقه في الاسم من الرجال.

الهوامش:

١. «نهج البلاغة»، الكتاب ٣١.
٢. «الفيض القدسي في ترجمة العلامة المجلسي»، من كتاب «بحار الأنوار»، ج ١٠٥، ص ٢.

المصدر: شبكة الامام الرضا عليه السلام؛ http://www.imamreza.net

إن الاعمال الثقافية والفنية الراقية للمثقفين الغربيين تمثل هي الاخرى مرآة تعكس مجمل الثقافة والحضارة الغربية. ويمكن تحديد الدور الممجد او الموبخ والمتسائل لهذه الاعمال في كل تقلبات وتغيرات هؤلاء القوم طوال التاريخ فضلا عن انه يمكن دراسة نسبة غفلتهم وتهورهم وعصيانهم.

وخلال الفترة الواقعة بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين حيث جرب التاريخ الغربي نشأته ونموه، تحدث الكثير من الشخصيات بقلمهم ولسانهم عن التوجهات والغفلة والموقع وطريقة السير والسفر في هذا التاريخ، فتحدثوا احيانا باختصار واحيانا اخرى بصراحة واسهاب عن النتائج الحتمية لهذه الطريقة في السير في ربوع الأرض.

ومن بين هذه الشخصيات الشهيرة هناك كتاب الدراما بمن فيهم **كريستوفر مارلو** و**غوتية** ومؤرخون وفلاسفة تاريخ مثل **اشبنغلر** و**توينبي** و**فوكو** وشعراء ومثقفون بارعون بمن فيهم **هايدغر** و**هولدورلين** ومنظرون مثل **فوكوياما** و**هنتينغتون** واخرون ممن تحدثوا بطريقة او باخرى عن نهاية ومصير السير والسلوك على طريق محورية الذات والنزعة الفردية والدنيوية او إنهم تساءلوا عن وجه او وضع ما او اعرضوا عنه.

إن دراسة الجزئان السابقان و هذا الجزء، تحكي عن سنوات طويلة من الإعراض عن الغرب والاحتجاج على الغرب والحداثة وعن الثقافة الغربية وسير وسلوك الإنسان الغربي فيما اتى البعض على ذكر المخرج لهذه الأزمة.

إن أكثر ناقدي الغرب جدية، ليسوا من الشرق. وفي المقابل فإن المولعين بالغرب وعبدته هم من سكنة الشرق والشرقيين قبل ان يكونوا من الغربيين انفسهم. إن الحديث عن منتقدي الغرب يفتح مجالا واسعا امامنا. وبما ان هذا المقال لا يسع لفهرسة اسماء جميع الناقدين وتقديم ارائهم، لذلك فإنه يتطرق بايجاز إلى بعض اعمالهم وارائهم التي نشرت وصدرت في السنوات الأولى من القرن السادس عشر للميلاد.

٥. فيرجيل جيورجيو

عندما صدرت رواية «الساعة الخامسة والعشرون» لمؤلفها الروماني **كنستنتين فيرجيو جيورجيو**[١] للمرة الأولى في باريس عام ١٩٤٩م.، اثارت ضجة، وأصبح الكتاب من الكتب الأكثر مبيعا وشكل مادة وموضوعا تناقشه الكثير من الصحف والمؤتمرات.

ويبين جيورجيو كل انطباعاته ومعطياته عن الإنسان المعاصر وموضوع روايته على لسان بطل القصة أي ترائيان بهذا الشكل:

إن الساعة الخامسة والعشرين، هي تلك الساعة التي لن ترى الانسانية فيها وجه الفلاح، وحتى أن الزمن أصبح متاخرا لمجئ المسيح. وهذه ليست اخر ساعة، بل ساعة واحدة تعقب ساعة النهاية. وهذه الساعة هي الان! وان الحضارة الغربية هي في هذه اللحظة.

ويتطرق جيورجيو بذكاء إلى موقع التاريخ الغربي ويصوره على هيئة دوامة يتفتت على اثرها الإنسان بجلده وعظمه ولحمه ويشعر بقرب وقوع حادث ما، لكنه لا يرى أن ثمة طريقا لنجاة الغرب.

ويرى جيورجيو أن التحرر الكبير يكمن في الشرق أي اسيا. أي التحرر والثورة الكبرى التي يقودها رجال الشرق وتؤدي إلى العودة إلى القيم الروحية والانسانية. والعبارات التالية، هي مقتطفات من «الساعة الخامسة والعشرون» تتوضح فيها كل جغرافيا رؤية وانطباع رجل الدين هذا في النصف الأول من القرن العشرين.

وقال ترائيان: انها ليست مزحة، اظن أن شيئا مهما يحدث في حوالينا. لا ادري متى بدا وأين تشكل وكم يستمر، لكني على علم بوجوده. اننا نواجه دوامة، وهذه الدوامة ستقتلع لحم جسدنا وتحطم كل عظامنا. مثل الفئران التي تحس بقرب غرق السفينة فتهرب منها. وأنا اشعر بوقوع هذا الحادث. لكننا لا نستيطع السباحة للوصول إلى الشاطئ. ولا وجود لشاطئ لنا. وسال المحامي:

ما هو هذا الشئ الذي اشرت اليه؟

قال ترائيان: يمكن لك أن تصفه ثورة. ثورة في ابعاد لا يمكن تصورها وسيكون الناس كلهم ضحاياها ...

وسال المحامي: وما هذا الخطر الكبير الذي يتهددنا؟

ورد ترائيان كوروغو قائلا: خادم آلي. وأنت تعرفه أيضا، جورج، خادم آلي، الخادم الذي يسدي لنا يوميا خدمات بكل الأشكال، يقود سيارتنا، يشغل ماكنتنا، يسكب الماء على يدينا، يوجه لنا رسائل، وعندما نشغل الراديو، يسرد علينا قصصا مثيرة للضحك. يشق الطرق ويفتت الجبال... .

إن المجتمع الذي يملك ملايين الخدام الآليين ويضم مليوني انسان فحسب، حتى ان وقع الحكم فيه بيد الانسان، فإنه سيبرز أيضا خصائص الاغلبية البرولتارية... اننا نتعلم لغة وقوانين رقيقنا لكي يتسنى لنا اصدار الاوامر لهم، لذلك فإننا نغادر شيئا فشيئا جوهرنا الانساني وقوانيننا الانسانية بطريقة غير محسوسة. اننا ومع قبول أسلوب حياة رقيقنا، نجرد أنفسنا من الانسانية. ان أول اعراض تجرد الإنسان من انسانيته هو اذلال الانسان. ان الإنسان الحديث، يقيس قيمته وقيمة سائر ابناء البشر بالمعايير الالية. وتحول الناس إلى قطع غيار. ان المجتمع المعاصر الذي يملك عشرين او ثلاثين رقيقا مقابل كل انسان، يجب أن ينظم بطريقة تمكنه من التصرف وفقا للقوانين التكنيكية. ان المجتمع يوجد اليوم حسب المتطلبات التكنيكية لا لتلبية الاحتياجات الانسانية، ومن هنا تبدا الكارثة... .

وتتوضح عملية تجريد الإنسان من انسانيته بطرق مختلفة، وترغم الإنسان للتخلي عن عواطفه ومشاعره وتحويل العلاقات الاجتماعية إلى شئ جزمي وآلي ودقيق، مثل العلاقة القائمة بين المكونات المختلفة من ماكنة ما. وتتجلى اصوات ولغة الرقيق الآلي او «الدمى» في العلاقات الاجتماعية وادارة المجتمع وفي الرسم والادبيات والرقص. فأصبح الإنسان يقلد الدمى... ان بوسع الحضارة الصناعة أن تجلب الاستقرار، لكنها عاجزة عن النهوض بالروح ولن تكون هناك عبقرية من دون روح. ان المجتمع الذي يفتقد إلى العباقرة، مآله الفناء. ان الحضارة الحديثة التي تحل الآن محل الحضارة الغربية وستستحوذ في النهاية على العالم باسره، ستباد بدورها... وبعد الاطاحة بالتكنولوجيا ستحيا القيم الروحية والانسانة من جديد. ان هذا النور العظيم سيطلع على الارجح من الشرق أي من اسيا، لكن ليس من روسية. ان الروس رضخوا للمصباح الكهربائي وأخذوا يعبدونه وسيصابون بذلك المصير الذي اصيب به الغرب، لكن الشرق سيتغلب في خاتمة المطاف على التكنولوجيا الحاضرة وسيحتفظ بالكهرباء من اجل اضاءة الشوارع والبيوت لا أن يستحدث معبدا تعبد فيه الكهرباء على طريقة المجتمع الغربي المعاصر الذي يعيش في بربرية وهمجية وخضع لها. ان رجال الشرق لا يريدون استخدام مصابيح النيون لتسليط الضوء على خفايا الروح. انهم سيروضون مكائن الحضارة الصناعية بقدرتهم ونبوغهم بالضبط مثل قائد الاوركسترا الذي يقود ويوجه الاوركسترا بناء على احساسه الغريزي في الايقاع الموسيقي، لكننا لن نكون على قيد الحياة حتى ذلك الزمان. ان الإنسان في عصرنا أصبح كالبربر يعبد الشمس الكهربائية. وقال المحامي: اذن هل سنموت ونحن رقيق؟

قال ترائيان: اننا سنموت بلا شك كسجناء لدى البرابرة من أصحاب التكنولوجيا. ان روايتي هي مقدمة لهذه المرحلة من وجود الإنسان وهذا الفصل من تاريخ الانسان. وسال المحامي: بماذا تسميه؟

قال ترائيان: الساعة الخامسة والعشرون. الساعة التي لن ترى فيها الانسانية وجه الفلاح وحتى ان الزمان أصبح متاخرا لعودة المسيح، لكن هذه ليست الساعة الاخيرة، بل ساعة واحدة تعقب ساعة النهاية. وهذه الساعة هي الان! وان الحضارة الغربية هي في هذه اللحظة.

وان اراد أحد الاتيان على ذكر ناقدي تاريخ الغرب الحديث من أصحاب الادب والثقافة الغربيين أنفسهم وتقديم فهرس عن اقوالهم واعمالهم، فإنه سيعد مجموعة كبيرة قد ترقى إلى موسوعة. ولا يجب تجاهل أن هؤلاء كانوا ومازالوا يواجهون القضايا التالية في النقد والدراسة وابداء وجهات نظرهم:

– انهم نظروا إلى التاريخ الغربي من الداخل؛

– انهم قدموا تقييما ورؤية بنفس الأسلوب وعلم المنهج المعمول به في الغرب (والقابل للنقد طبعا)؛

– انهم أخذوا بنظر الاعتبار جزءا من الكل واعتمدوه كمعيار ومقياس لابداء وجهات نظرهم بشأنه؛

– وماعدا عدد ضئيل، فالبقية منهم غرباء على حقيقة الشرق وأسسه النظرية ومبادئه. وماعدا عدد محدود ممن اشرفوا على اوجه من الثقافة الشرقية عن طريق التتبع ورصد المصادر واحيانا مجالسة بعض العلماء والمفكرين الشرقيين، فإن البقية الباقية منهم اتخذوا الشرق المعلمن أساسا للنظر إلى الشرق، وفي هذا الخضم فإن المستشرقين سبقوا الاخرين وتحولوا إلى اداة للتمهيد للهيمنة السياسية والعسكرية الغربية على الشرق؛

– وان عددا محدودا منهم فحسب تطرقوا إلى الماهية النهلستية والعدمية للتاريخ الغربي.

٦. ميلان كونديرا

ميلان كونديرا[٢] هو كاتب وناقد تشيكي، ولد في الأول من أبريل عام ١٩٢٩م. وله اراء نقدية حول تاريخ تطور الرواية في الغرب. ونظرا إلى أزمة الإنسان الاوروبي والحديث عن أن الفلسفة والعلوم الغربية تناست وجود الانسان، فإنه يقول:

إن وحدة اوروبا كانت مبنية على الديانة المشتركة (المسيحية) في العصور الوسطى. وفي العصر الحديث، انسحب الدين من الساحة واعطى مكانه للثقافة التي اعتبرها الغرب بأنها تنطوي على القيم النبيلة للانسان الاوروبي.

ويبدو الآن أن تغيرا اخر سيطرا في قرننا، وبنفس الدرجة من الأهمية التي اكتسبها التغير وعزل القرون الوسطى عن العصر الحديث. بالضبط مثل تلك الحقبة التي اعطى الله مكانه للثقافة. [والان] فإن الثقافة تنسحب بدورها من الساحة.[٣]

إن اعمال كونديرا، تتميز بنظرة فلسفية إلى العالم، وتتمتع بمكانة خاصة وحتى أن البعض يرى أن هذه الميزة تشكل نقطة ضعف اعماله.

وعلى أي حال فإن كونديرا ينظر إلى ما حواليه بنظرة فاحصة ومتسائلة. انه كاتب ينظر إلى وجهي عملة الحداثة. وتوجه اليوم اصابع الاتهام إلى كونديرا بتهمة التعاون والتجسس لحساب جهاز استخبارات بلاده، لكنه اشتهر في الغرب بسبب وفرة اعماله الادبية.

ويسلط ميلان كونديرا الضوء على الأزمة في التاريخ الغربي، لكن مجمل اسئلته واتساع نطاق رؤيته تتوقف عند مستوى وحد ما ولا تشمل التذكير بمبادئ وأسس تاريخ النهلستية والعدمية. ولهذا السبب لا تتوفر لكونديرا وامثاله امكانية تجاوز الغرب المتازم. انه قلق على اتحاد اوروبا الغربية:

ما هي مجموعة القيم النبيلة القادرة على توحيد اوروبا؟ التقدم التقني، السوق ام وسائل الاعلام؟ وهل ان صحفيا كبيرا سيحل محل شاعر كبير أم السياسة؟ لكن أي سياسة؟ يمينية او يسارية؟ وهل مايزال يوجد تطلع مشترك ماوراء ثنائي اليسار واليمين، يتسم في الوقت ذاته بالحماقة ولا يمكن معالجته؟ وهل عامل الوحدة هذا هو مبدا التسامح، مبدا احترام معتقدات الناس؟ لكن ان لم يكن بوسع هذا التسامح دعم الخلق الثري او مجموعة معتقدات قوية، اليس سيكون تافها وعبثيا؟ وهل يجب اعتبار نفي الثقافة ضربا من التحرر ونستسلم بانجذاب؟ وهل يجب على الاله [الغائب] ان يملي الفضاء الخاوي ويظهر نفسه؟ لا ادري؟ لا اعرف شيئا في هذا الخصوص. اظن اني اعرف فحسب بأن الثقافة قد انسحبت من الساحة... .[٤]

إن كونديرا يتحدث كانسان حائر ومضطرب استيقظ من نوم اتت عليه ضجة وهزة زلزال عنيف. ان كلامه هو انعكاس لنظرة

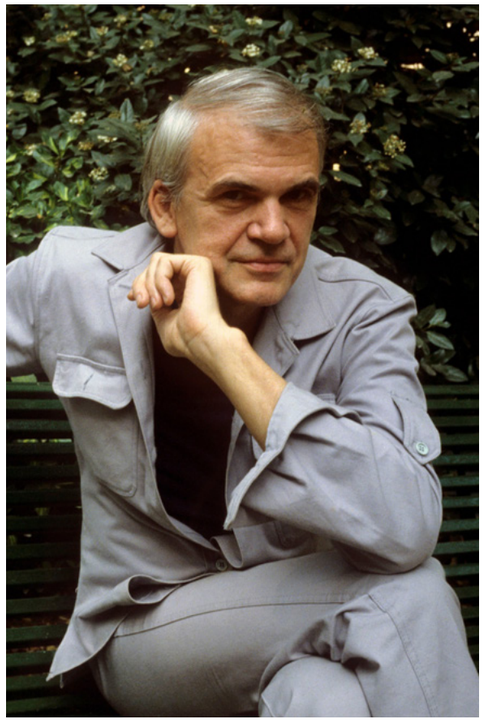

النهلستة والعدمية الجارية في الميدان الثقافي الغربي ويختلف اختلافا جادا مع رجال مثل **ادموند هوسرول**[٥] بوصفه فيلسوفا وجوديا ومنظرا المانيا. ويرى هوسرل **ان أزمة الإنسان الاوروبي هي عميقة لدرجة انه يبدو مستبعدا ان ينجو هذا الإنسان منها.**

ويرى كونديرا ان الأزمة ناتجة عن ماهية النظرة الاحادية للعلوم الاوروبية في العصر الحديث ويؤكد انه كلما مضى الإنسان قدما في علمه، كلما ابتعد عن كلية العالم وعن ذاته. المفهوم الذي اطلق عليه لاحقا مفكر الماني اخر اسم «نسيان الوجود».

الهوامش:

1. Constantin Virgil Gherorghiu.
2. Milan Kundera.

٣. ميلان كونديرا، قبعة كمنتيس، ترجمة احمد ميرعلائي، طهران، دماوند، صص ٥٢ و ٦٤.

٤. المصدر السابق، ص ٥٣.

٥. Edmund Husserl من الفلاسفة المهمين والمؤثرين في القرن العشرين (١٨٥٥-١٩٣٨م.) وقد أسس علم الظواهر واعتبره ماوراء المثالية والواقعية، واعتمد أسلوب اللاادريون لاثبات عدم كفاءة وجدارة العلم في كشف بواطن الاشياء. وقد أصبح مولعا بافلاطون والنزعة الاشراقية والجوهرية والروحية. وكان استاذ فلسفة هايدغر.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الغرب وآخرالزمان»، طهران، موعود العصر، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.ق./ ٢٠١٣م.

سلالات أخرى

سلالة ردوبونت Duponts

عائلة **دوبونت** مثل العائلات التابعة للنورانيين تتخصص وتحتكر في صناعة معينة، وقد تخصصت هذه العائلة في صناعة البارود منذ اختراعه، أي أنها تخصصت واحتكرت تجارة وصناعة المتفجرات.

هي عائلة من سلالة الملوك فقد تزوج **السير دوبونت** في «فرنسا» ١٧٣٧م. وأنجب ذريته أو سلالة العائلة بدءا من ابنه **صموئيل** ثم **بيار** الذي عاصر الثورة الفرنسية.

يؤمن بيار صمؤيل دوبونت بالنظام العالمي الجديد المبني على فكرة الحكومة الأفلاطونية التي يرأسها الملك الفيلسوف.

كان بيار ماسونيا من الدرجة الـ ٣٣ شغل وظيفة المفتش العام للتجارة في فرنسا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، وسجن عام ١٧٩٢ م نتيجة لآرائه الرجعية ثم هاجر عام ١٧٩٩ م إلى «الولايات المتحدة» مع عائلته.

وبناء على طلب الرئيس الأمريكي **جيفرسون** وكان من كبار الماسون وضع خطة وطنية للتعليم في أمريكا.

عاد إلى فرنسا عام ١٨٠٢م. وقام بدور فعال لمعاهدة ١٨٠٣م. التي تم بموجبها بيع ولاية «لويزيانا» للولايات المتحدة الأمريكية.

وضع بيار صمؤيل نظم التعليم في كل من «بولندا» والولايات المتحدة لصالح الماسونية والنورانيين.

كان بيار صمؤيل، صديقا لـ **فرانكلين الماسوني** الأمريكي الكبير.

شغل الجيل الثاني لآل دوبونت في عمل البنوك في الولايات المتحدة والبنك الدولى فقد ساعد ماسون **ستيفن جيرار** (١٧٥٠-١٨٣١م.) في إنشاء المصرف الثاني في الولايات المتحدة عام ١٨١١م. وجمع ثروة تقدر بنحو ٦ ملايين دولار وقدم الكثير من أمواله للأخويات الماسونية أما **ماري فيكتور** فقد احتكر صناعة البارود (المتفجرات).

تولى **الفريد دوبونت** زعامة الأسرة ومصانع البارود في القرن التاسع عشر الميلادي ومات مقتولا ١٨٣٣م. ثم خلفه **وليام دوبونت** (١٨٠٠-١٩٢٨م.) ومات منتحرا بالرصاص.

وقد انتخب الكثير من آل دوبونت في مجلس الشيوخ الأمريكي مثل:

- **ت. كولمان دوبونت،**
- **ألف هنري دوبونت** ١٩١٦م.،
- **جيمس هيوز** ١٩٣٧-١٩٤٢م.،
- **ريتشارد ركيني** (السناتو ١٨٩٧-١٩٠١م.) الماسوني،
- **أرنولد Naudain** (السناتور ١٨٣٠-١٨٣٩م.) الماسوني،
- **جون ج. تاونسند** (السناتور ١٩٢٩-١٩٤٢م.) الماسوني والمصرفي والمندوب المناوب للجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٦م.،
- **جيمس م. Tunnell** (السناتور ١٩٤١-١٩٤٧م.) الماسوني،
- **جون ويلز** (السناتور ١٨٤٩-١٩٥١م.) الماسوني،
- **ويليام ف. روث. جونيور** (السناتور ١٩٧١).

سلالة كروب

ظهرت عائلة **كروب** كجزء من جماعة النورانيين عام ١٨٣٦م. حيث كانت تمتلك الأسرة مناجم للفحم حول «سكرانتون»، وتوجه زعيم العائلة **الفريد كروب** من «باريس» إلى «ليفربول» عام ١٨٣٨م. ب «إنجلترا» لمدة خمسة أشهر ثم انتقل إلى «أيسن» في «المانيا» عام ١٨٣٩م.

ومع الثورة الصناعية في أوربا اختصت العائلة باستخراج المعادن ثم عملت العائلة بواسطة الابن **أنطون** في تجارة السلاح في ألمانيا. واحتكرت أيضاً تجارة الصلب مع الفحم، وقد كانت شركة «الهند الشرقية» واحدة من أبرز الشركات التي تقود العالم وتشكيل عصابات المخدرات خلال عصر الاستكشاف.

واحتكرت عائلة كروب صناعة المواد الكيميائية في جميع أنحاء العالم ولعبت العائلة دورا هاما في الحرب العالمية الأولى والثانية بالبحوث السرية وإنتاج الأسلحة الكيميائية.

وقد قام **جوستاف كروب** زعيم العائلة بإمداد الألمان بالمتفجرات وانه تم إمداد مصانع آل كروب بالدهون البشرية من الأسرى في معسكرات الألمان لإنتاج فتائل المتفجرات وأن رجال الألمونيائي النورانيين كان يعدونهم بها بدلا من الدهون الحيوانية.

وكان جوستاف كروب من مستشاري **هتلر** في الحرب العالمية الثانية وكذلك قام بإعادة تسليح ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى بأوامر من النورانيين وحصل من الحكومة الألمانية على ٣٠٠ مليون مارك مقابل ذلك.

وقد تم تقديم جوستاف للمحاكمة في «نورمبرغ» التي حاكمت الزعماء النازيين ولم يتم إعدامه كما تم إعدام الزعماء الألمان النازيين، والسبب أن جوستاف كان يؤدي دوره الذي حدده له النورانيون.

وقد أثبتت الأحداث أن الأمر أو السلالات المنتمية للنورانيين أمثال عائلة كروب فوق القانون في الدول العظمى مثل ألمانيا حيث تستقر عائلة كروب، فقد كان **فريدريش الفريد كروب** (١٨٥٤-١٩٠٢م.) رئيس مجموعة كروب الصناعية والإمبراطورية الكروبية شاذا جنسيا حيث أنه كان يمارس الجنس مع الأولاد صغار السن في مختلف بلاد أوربا وقد تمت تسجيل تلك الجرائم في سجلات الشرطة في «كابري» وتم نشر الصور الإباحية له حتى إن السلطات الإيطالية طلبت منه مغادرة أراضيها.

وعندما علمت زوجته بالأمر وأرادت مقاضانه أودعها مستشفى الأمراض العقلية ثم انتهى الأمر به إلى الانتحار في نوفمبر ١٩٠٢م.

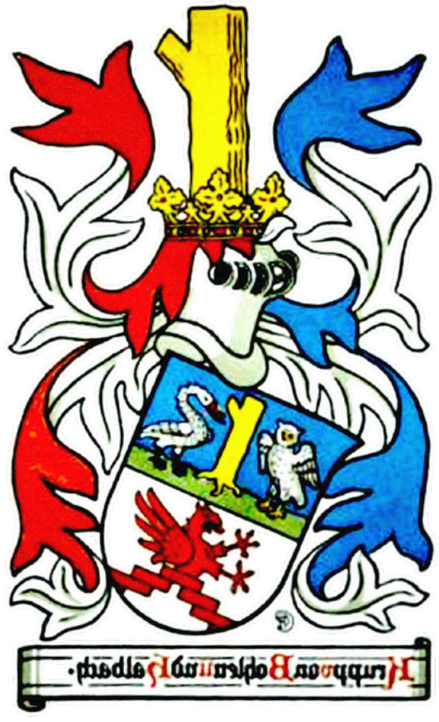

سلالة كولينز (كولنس)

عائلة **كولينز** من أهم الأسر التي تكون منها النورانيين التي تتحكم في العالم وأصل تلك السلالة من إنجلترا ثم هاجرت إلى الأرض الجديدة، أرض النورانيين القارة الأمريكية.

تختص هذه العائلة بأمور السحر وطقوس عبادة الشيطان وهذا يضفي عليها الكثير من الأهمية لدى النورانيين فقد هاجرت تلك العائلة إلى الولايات المتحدة منذ عام ١٦٤٠م. وكان على رأس الأسرة **جين كولينز** في «ماساتسوستس»، وقد جلبت الأسرة معها من إنجلترا كل ما يتعلق بالسحر وعبادة الشيطان إلى الدولة الجديدة.

وحصل **آرثر كولينز** على لقب النبيل وأصبح له قدر كبير من النفوذ بوصفه أحد أعضاء الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية عام ١٨١٢م.

ثم ظهر **جون كولينز** (١٧١٧-١٧٩٥م.) كعضو في الحكومة الاتحادية الأمريكية ودعا إلى إصدار عملة مستقلة لها وهذا يعني استقلالها عن إنجلترا مما جعله يحظى بشعبية في المناطق الريفية بالولايات المتحدة وخاصة في «رود ايلاند».

امتلك الكثيرون من هذه العائلة المال الوفير مثل **ماثيو كولينز جاريت** (١٨٧٤-١٩٢٥م.) و**غاريت ماثيو كولينز** صاحب شركات النفط وهو من كبار الماسون.

وكذلك **ثيودور كلايد كولينز جونيور** و**آرثر كولينز فليتشر** صاحب مؤسسات مالية وشركات عقارات، و**باركلي كولينز** صاحب شركات نفط.

وتسيطر هذه السلالة على الكثير من المصارف في الولايات المتحدة وسوق العقارات والنفط.

وشاركت أيضا في الحرب الأهلية الأمريكية بواسطة الكولونيل **ويليام كولينز أوليفر** وتشارك الأسرة في شركة نفط «البحرين».

ومن أعضاء تلك الأسرة **فوستر جيمس كولينز** الذي عمل في الاستخبارات الأمريكية وعمل في مجلس الشيوخ الأمريكي والأمانة العامة للأمم المتحدة (١٩٤٦-١٩٤٩م.) وفي وزارة الخارجية والخزانة أيضا.

وكانت الأسرة من وراء انتخابات **رونالد ريجان** و**بوش الأب والابن** وهم يسيطرون على وكالة المخابرات الأمريكية المركزية (C.I.A) ومكتب التحقيقات الفيدرالية وبالتالي فهم يقفون على قمة الهرم الشيطاني للنورانيين ومن أهم أفراد تلك السلالة الممثلة **جوان كولينز**.

ومن العائلة **مايكل كولينز** رائد الفضاء وأحد أعضاء رحلة أبولو الثانية إلى القمر وهو عضو في مجلس إدارة «مؤسسة رندا».

وكان **روس ألف كولينز** قد شغل منصب المدعي العام وعضوية الكونجرس في العاصمة «واشنطن» ورئيس لجنة الاعتمادات في الكونجرس وكان من كبار رجال الماسونية من الدرجة ٣٣.

واشتركت الأسرة في «جماعة الجمجمة والعظام» الماسونية منذ نشأتها في الولايات المتحدة وكان من أهم أعضائها **كلينتون كولينز** (١٨٢٤-١٩٠٩م.).

وبالجملة فهذه السلالة دخلت في مجالات كثيرة وهامة في الحياة السياسية والاجتماعية الأمريكية منها عبدة الشيطان والسحر، والمخابرات المركزية والصحافة والفن مما جعلها أهم السلالات المتحالفة مع النورانيين.

علم سلالة تانغ الصينية

سلالة لى الصينية

ولأن النورانيين تدعى العالمية فقد شملت سلالة صينية هي أسرة **لى** أو **لى تشاو شينغ** و **لى** هو اسم شعبي في «الصين» وهو لقب له تاريخ قديم في الصين يعود إلى شخص يدعى **Zhuanzu** الإمبراطور الذي عاش قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وخلال عهد أسرة **تانغ**، أخذت الأسرة ١٥ لقبا مختلفا.

و **لى يوان**، هو مؤسس أسرة تانغ، التي استمرت ٦١٨ سنة حتى عام ٩٠٦م. وفي العصر الحديث يوجد الحاكم الفعلي الملياردير **هونج كونج لي كاشينغ لي** و **لى بنغ** حاكم الصين الأحمر و **لى كوان يو**، ديكتاتور «سنغافورة» وهم متواجدون أيضا ومسيطرون على «تايوان» في مناصب هامة.

وعائلة لى جزء هام من النظام العالمي الجديد الموحد التابع للنورانيين وكان لى تشاو، رئيس الحزب الشيوعي في شمال الصين خلال قتال القوميين، وفي عام ١٩٧٦م. اجتمع لى كوان مع الزعيم **ماوتسي تونج** الذي كان مرتبطا ارتباطا وتبقا مع أسرة لى، وكان **ماو** حارسا شخصيا لأحد أفراد أسرة لى (yingiao)، وكان معلم ماو، **تالي تشاو** عضو الجمعية السرية الشيوعية المرتبطة بالماسونية الصهيونية العالمية.

ومعظم أعضاء عائلة لى تحمل جوازات سفر بريطانية وهي من أقوى وأغنى العائلات الصينية في «هونج كونج» وسنغافورة.

ويشغل **هيو** رئاسة «بنك شرق آسيا» كما أن **أربوع لى** أو المعروف باسم **ديفيد لى** بشغل عمل نائب رئيس لجنة صياغة مستقبل المنطقة الصينية وتم اختياره بناء على ترشيح الحكومة الشيوعية في الصين وهو يحمل جواز سفر «بريطانيا»، والجدير بالذكر أن ديفيد لى لم يعلق على مذبحة ساحة «Tienamnen» في الصين الشهيرة عندما طلب منه ذلك.

و ديفيد لى عم **سيمون لى**، أحد قضاة الاستئناف في هونج كونج، وكان **رونالد لى**، رئيس البورصة هونج كونج وقد اتهم ابنه بقضايا فساد مالي.

وهناك اثنان من سبعة أعضاء من لجنة المشورة في الحزب الشيوعي الصيني من عائلة لى وهم **لى بينغ**، رئيس الدائرة الداخلية و **لى روى خوان** رئيس الدعاية للحزب الشيوعي.

وقد تورطت الأسرة في الصراع على السلطة في الصين بعد وفاة الزعيم الشيوعي الصيني **ماو تسى تونجه**، ويعد أحدهم وهو **xiannian** واحدا من أربعة من كبار قادة الصين الشيوعيين وكان **لى شنغ**، عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني وعمل في وظائف عسكرية هامة.

وعين أيضا وزيرا للخارجية الصينية عام ١٩٧٨م.

وتسيطر سلالة لى على هونج كونج اقتصاديا وسياسيا من خلال الثالوث **لى تشى تانغ**، و **لى هسيو** و **لى هونج**.

وتسيطر أيضا على «شانغهاي» بواسطة لاب **لى نينغ**، **لى بنغ**، و **لى وند ماو**.

المصدر: منصور عبدالحكيم، «سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم»، دمشق، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

الحاج عبد الهادي بن الحاج أوانج

العولمة والنظام العالمي الجديد

ولست بحاجة إلى تعريف العولمة، فقد كتبها الكثيرون، وشرحوها شرحا واضحا في الكتب والمقالات والمقابلات حتى أن هذه الكلمة الأنيقة متداولة بين الباحثين والمثقفين والمعنيين في الدراسات العالمية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والعسكرية وبينوا إيجابياتها وسلبياتها.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، قائد الكتلة الشيوعية، وانتهت تمثيلية الحرب الباردة بينها وبين الكتلة الغربية الرأسمالية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، اندفعت هذا الأخير بغرورها وشعرت بوحدتها لقيادة العالم، فأعلنت شعار النظام العالمي الجديد لإجبار الدول على تخطيطها للسيطرة على سياستها والهيمنة على اقتصادها والتدخل على ثقافتها وتعليمها كمحاولة لإبقاء مكانتها في قيادة العالم مهما كان الثمن الذي ستدفعه الدول الأخرى لاسيما الدول النامية في العالم الثالث وبالأخص الأراضي الإسلامية بمكانتها الاستراتيجية في خريطة السياسة والاقتصاد، واستعدت حتى للتدخل العسكري بكل قواتها بعد السيطرة على وسائل الإعلام واستخدام المنظمات العالمية كـ«جمعية الأمم المتحدة» ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية و«الناتو» و«البنك الدولي» و«صندوق النقد الدولي» بدون استحياء ومرؤة.

وهذا هو استعمار جديد على العالم، باسم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان بأسلوب أنيق يفرض الدول لإتباعها وطاعتها والركون إليها طوعا وكرها. وإلا ستدخل أيّة دولة في قوائم الإرهاب وأعداء الديموقراطية والحرية والعدالة وحقوق الإنسان. فالولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها معصومة من تلك الكبائر كلها مهما كانت إجراءاتها العسكرية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية ومنها مساعدتها لأسرائيل مهما كانت وحشيتها على الشعب الفلسطيني المظلوم، وفرض الاهتمام بمصالحها وأتباعها اهتماما بالغا ولو كان على حساب المستضعفين والمظلومين في العالم. فالدفاع عن وجود إسرائيل الظالمة أولى من حقوق «فلسطين»، وكذلك إهمال قضايا «الشيشان» و«كشمير» وجنوب «الفلبين وغيرها من المظلومين. وكل قرارات دولية بالأغلبية التي تمس تلك الدول المستكبرة منقوضة بالبيتو.

والعولمة وليدة النظام العالمي الجديد بتخطيط دقيق واستراتيجية أنيقة للاستعمار الجديد على طرق حديثة ليست كاستعمار القرون الوسطى. فإنها تخطط بدقة وتنظم بدراسة متعمقة من خبراء الاستراتيجية للسيطرة على العالم بستار الديموقراطية والحرية والثقافة والأخوة الإنسانية والعدالة وحقوق الإنسان. وهي برنامج من برامجها لتغريب العالم في الثقافة بوسائل متنوعة من أداة الإعلام المقرؤة والمنظورة والتدخل في مناهج التربية والتعليم. وفي السياسة بالتدخل في نظام الحكم والإدارات الحكومية باسم الإصلاحات الديموفراطية، وفي الاقتصاد بالسيطرة على الموارد كالبترول والغاز والحركات التجارية والاستثمارات وتسيس البنك الدولي وصندوق النقد الدولي باسم المساعدة.

والعولمة سيمة الاستكبار العالمي الذي يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك أهلها بتنظيم جديد بين الاستكبارات المتحالفة في الحكومات الرأسمالية بقيادة أمريكا وتنضم إليها الولايات الشيوعية السابقة، فإن الحرب الباردة ليست إلا تمثيلية خلافية في أسرة واحدة داخل المجتمع الغربي الذي تبرمجه الصهيونية اليهودية في لوبياتها ومناهجها للسيطرة على العالم أيضا. فالرأسمالية والشيوعية منبع ماسوني وصهيوني ويهودي، فأسماء الشخصيات، **كارل ماركس** و**لينين** و**تروتسيكي** و**أدم سميث** و**بنجامين هاريسون** و**ميكائيل غورباشيوف** و**هنري كسينجر** وغيرهم من أقطاب الرأسمالية والشيوعية معروفون بأصولهم وفروعهم اليهودية. فلقد لعب اليهود دورا كبيرا في تشكيل النظام الدولي قديمه وحديثه وكانوا وراء الكثير من الأحداث الدولية كالثورات والانقلابيات على حسب مصالحهم المادية، فالمادة هدفهم الأول، وهي أولى من تعاليم دينهم وأنبيائهم، لقد قتلوا أنبياءهم وغيروا دينهم، ونظموا جيوش الأحزاب في عهد رسول الله ﷺ وهم ينتظرون هذا الرسول العظيم في دار هجرته، وفي الأخير تمكنوا من القضاء على الخلافة العثمانية وإسقاطها وبعدها إقامة دولتهم المغتصبة في فلسطين بتدعيم من الدول الكبرى التي يسخرونها بالمادة التي يملكونها. فالنظام العالمي الجديد الذي يلد العولمة نفس الجاهلية البحتة التي لا تضع اعتبارا لغير المادة وعبادة القوة. فالمحرك الأساسي له المصالح المادية والمنافع الدنيوية التي تقوم على البرجماتية النفعية ولاثواب ولا عقاب، حتى أن الحق والعدل والخير تحددها المنافع المادية البحتة ولو كان إثما وعدوانا.

فالعولمة وليدة تعليم إبليس عليه اللعنة حينما خدع أبينا آدم عليه السلام بتسميته الشهيرة لشجرة منعه الله أن يقربها (شجرة الخلد وملك لا يبلى) كأنه ليس هناك يوم البعث والجزاء والحساب والجنة والنار، وتفرعت منها داء الكفر والاستكبار والعلو والغلو، وناضل في سبيله نمرود وفرعون وعاد وثمود ثم جددتها أمريكا وحلفاؤها بالعلمانية ومذاهبها المتنوعة وأيديولجياتها المختلفة وتكنولوجياتها الحديثة حتى تحاول سيطرة الفضاء الخارجي في السماء ببناء الصواريخ المتطورة كما بنى فرعون الصرح لرؤية إله **موسى** عليه السلام. ولكنها بنظام جديد للسيطرة على الدول كلها بالمناهج التي أرادتها في السياسة والاقتصاد والثقافة ومنها التربية والتعليم ووسائل الإعلام وإجبار الحكومات والشعوب وفي مقدمتها الأمة الإسلامية بغزوات فكرية وعسكرية واقتصادية وسياسية.

وما العولمة إلا تضييقا وإزالة لفطرة الله التي فطر الناس عليها بغطاء الوحدة وحطم الحواجز الثقافية والاقتصادية والأمنية والسياسية تحت مشروع أمريكي للهيمنة والسيطرة والاستعمار بأساليب عصرية متطورة بدون مراعاة للتعددية القومية والجنسية واللغوية والجغرافية وهي تخالف سنة الله في الأرض:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[1]

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ»[2]

وبعبارة محدودة أن العولمة برنامج أمريكا الاستعمارية الجديدة التي تشعر أنها أقوى الدول والحكومات في العالم وتريد فرض نظامه السياسي والاقتصادي والثقافي والديني على الدول والحكومات كلها على حساب مصالحها الوطنية قبل مصالح الدول الأخرى، مثلاً علاقتها بإسرائيل التي تسيطر على الانتخابات الامريكية أولى من علاقاتها بالدول العربية بالبترولية. وإزالة كل حاجز يقف أمام نفوذها ولو كانت بدفع حملات عسكرية تبلغ ميزانيتها مصالح شعبها حول العالم وإحراق الأخضر واليابس بالحرب والحصار. ثم إن الولايات المتحدة الأمريكية ببيانات صريحة من رئيسها تنظر إلى أن هذا النظام الجديد على أنه يعني انفرادها بقمة النظام الدولي وسيطرتها الكامل على حلبة السياسة الدولية، خاصة بعد تحلل الاتحاد السوفيتي وزواله من اللعبة والصراع رسميا وانهيار الشيوعية وحلف وارسو.

والهدف الأول هو العالم الإسلامي لدينه وموقعه الاستراتيجي بين العالم، ومكانته التاريخية في قيادة العالم، وبناء الحضارة الغالبة للعالم المعاصر، عدة قرون بنجاح باهر – فأما تأخر المسلمين بترك دينهم، وأما انهيار غيرهم بضعف الأديان والأيديولوجيات التي تحكم البلاد والعباد. وما الحضارة الغربية الحديثة إلا جزء مادي من الحضارة الإسلامية التي اتخذوها ونشأوا منها الثورة التكنولوجية المنفصلة من القيم والروح. ولذلك فإن أمريكا ترى أن التحدي الوحيد لسياستها ونظامها في تطبيق العولمة هو الإسلام والمسلمون الذين سيقفون أمامها ولذلك تتدخل في أمور المسلمين من الحكومات والمدارس الدينية والحوزات العلمية، وفي السياسة إلى التجارة.

وهذه العولمة التي أعلنوها غير العالمية في إسلامنا. والإسلام يتحدى لأن عالمية الإسلام تنفتح على الإنسان في العالم كله ولا إكراه في الدين لأن الإكراه يظهر النفاق الذي اعتبره الإسلام مرضا خطيرا على الأمة، فشريعتنا تفرض العدالة المطلقة بين الناس لقوله تعالى:

«**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**»[3]
فاقتصادنا لا تغصب ملك أهل البلاد التي فتحناها لقوله ﷺ لـ **معاذ بن جبل**: «**وإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.**»
ولذلك فإن دخولنا بلاد الآخرين باستقبال المستضعفين وإزالة الجبارين ونسميها فتوحات ولا نسميها استعمار. ودخل الناس في ديننا أفواجا برضا، وبقي من بقي من غير ديننا وعاش في ذمتنا إلى هذا اليوم، وعاش الأقليات في المجتمع المسلم بأمان ولو كان هذا الدين لا يملك التمكين في الأرض في الفترة الأخيرة ولكن المسلمين متأثرون بهذا الدين في معاملة الآخرين، والفرق ساشع بينه وبين الأقليات الإسلامية الموجودة في هذا العصر. والإسلام ينفتح للعالم في رسالته وعلاقته بالعالم، يدعو الناس جميعا في كل زمان ومكان إلى هذا الدين وجلب المنافع والمصالح من أي مكان وزمان لقوله ﷺ «**الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها وهو أحق بها.**» رواه **الترمذي** و**ابن ماجه**، ودفع المضار والمفاسد من داخل الأمة وخارجها:
«**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**»[4]
«**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**»[5]
وأما الاحتجاجات والمظاهرات العالمية ضد العولمة لمصالح مادية وصراعات الأقوياء وخوف الضعفاء في الأوساط العامة وسباق بين أمريكا وأوربا في السيرة والهيمنة السياسية والاقتصادية، وثورة عمالية خوفا من كثافتها التي ستتقلص العمال في الغرب بعد رخصة دخول العمالة الرخيصة بعد تطبيق العولمة، وتأثر السوق المقترحة التي ترعاها منظمة التجارة العالمية على فرص العمل في الولايات المتحدة الأمريكية لأن الدول النامية تتميز برخص العمالة. وأما الخلافات بين الدول الكبرى ليست إلا في تقسيم الغنيمة، وليس لهم نظر في الدين والقيم والأخلاق. وأما نحن المسلمين لا بدّ من أن ننظر على حسب ميزاننا الواسع وحدونا الكبيرة. بالمقارنة بينها وبين شمولية الإسلام وعالميته وأخطار العولمة على العالم وعلاقتها بالصهيونية كلاعب أساسي لسياسة أمريكا.
فالهدف الأول هو العالم الإسلامي والشعوب المسلمة، مهما كانت الأدلة والبراهين ضعيفة للحكم على الإسلام والمسلمين أو غير موجودة فإن هذا الدين وأمّته وأراضيه هدف للأمركة، رغم أن «ألمانيا» و«اليابان» وأوروبا متقدمة في التكنولوجيات الحديثة التي تؤثر الاقتصاد الأمريكي وكذلك «كوريا الشمالية» و«الصين» و«روسيا» تملك أسلحة الدمار الشامل إلا أن هدف النظام الدولي الجديد وبرنامج الضرب هو العالم الإسلامي بحجة ضد الأصولية الخطيرة والإرهاب وهتك حقوق الإنسان.

الهوامش:
١. سورة الحجرات، الآية ١٣.
٢. سورة الروم، الآية ٢٢.
٣. سورة المائدة، الآية ٨.
٤. سورة البقرة، الآية ١٧١.
٥. سورة المائدة، الآية ٥٠.

المصدر: https://www.taqrib.ir؛ بالتلخيص.

القبالة، التقرب إلى الشيطان؛ الكنز الكامن في أنقاض هيكل سليمان

والآن يجب التساؤل، ما الذي عثر عليه «فرسان الهيكل» أثناء بحثهم في أنقاض «هيكل سليمان» في «أورشليم»؟
لقد حصل الفرسان سواء قبل الدخول في مغامرات الحروب الصليبية أو بعدها وفي ظل نهب البلدان الشرقية، على كنوز جعلتهم في غنى عن كل شئ. كما أن المنزلة التي اكتسبوها من الكنيسة جعلتهم يحصلون على الكثير من الأموال المنقولة وغير المنقولة في هيئة هدايا ونذور وموقوفات تضاف إلى الغنائم التي نهبوها من المسلمين. إن ما حصل عليه الفرسان خلال وجودهم في الهيكل وعلى إثر البحوث التي قاموا بها، كانت قيمته تساوي أمثال أمثال مجمل الأموال آنفة الذكر. فقد توصل هؤلاء إلى المصادر والأسرار الخفية ل"المصريين القدامى» و «أشرار اليهود» و «كهنة هيكل سليمان». إرث ثمين من «السحرة والسامريين» استطاع الفرسان بفضله القيام بأعمال خارقة والولوج إلى العوالم الماورائية وبالتالي فرض هيمنتهم على الاخرين بمدد «العلوم الخفية والغريبة».
إن إنتباه واهتمام مؤرخي تاريخ «الحروب الصليبية» بانشغالات فرسان الهيكل بالعلوم الباطنية والغامضة وإتهامهم بالكفر والهرطقة، ناتج عن الدنس الخاص الذي طال الفرسان على مدى السنوات المديدة من وجودهم في أورشليم. وفي الحقيقة يمكن القول:
إن تراث «السحرة اليهود» في مصر القديمة والذي كان قد انتقل إلى كهنة الهيكل عن طريق السامريين والسحرة، إنتقل بدوره إلى «فرسان الهيكل». إن الحصول على العلوم الخفية والباطنية بما فيها «القبالة» يعد أحد أضخم مكاسب الفرسان على امتداد سنيّ سكناهم في أورشليم.
وكما أشرنا في الجزء السابق من مجموعة «قبيلة اللعنة»، فقد أعتبرت القبالة، في ترابط مع التراث المعنوي لليهودية الحاخامية، تصوفا يهوديا، وكانت تشكل الأسس النظرية والتطبيقية للكهنة اليهود المهيمنين على المحافل السرية لبني اسرائيل.
واستند **إسماعيل رائين** في الجزء الأول من مجموعة «الماسونية في ايران» المكونة من ثلاثة أجزاء، إلى المصادر التاريخية المتصلة بكيفية إضفاء الرسمية على «فرسان الهيكل» وإنحدار الأموال نحوهم ليقول:
وكان أول ملك مسيحي لبيت المقدس يدعى «بالدوين الثاني» وضع مكانا بالقرب من أورشليم بتصرف جمعية «حراس الهيكل». واعترف في عام ١١٢٨ للميلاد رسميا بالمجلس الإستشاري المقدس لهذه الجمعية، وأصدر البابا الأعظم مرسوما باسمها. وفي هذا المرسوم، ألزم البابا، أعضاء الجمعية بإحتمال الفقر والتقيد بالتقوى وطاعة أوامر الكنيسة.
وكان «حراس الهيكل» يشاركون مذاك، بالزي المزين بالصليب والمزخرف بالزينة الخاصة، في الحروب وكانوا يبدون شجاعة هائلة، وبما أنهم كانوا ملزمين وفقا لمرسوم البابا، ألا يعتاشوا إلا على النذر والتبرعات الدينية، فكانت النتيجة أن انهالت عليهم الأموال النقدية الهائلة وحتى المجوهرات من أكناف أوروبا كتبرع وتقرب إلى المسيح.
ولم يمر وقت حتى أصبح رؤساء الجمعية أصحاب جلال وجبروت وثروة كانت تساوي ثروة وجلال الملوك، كما أصبح زعماء الجمعية الذين كان هدفهم في البداية حماية أورشليم وزوار الديانة المسيحية، أصحاب نفوذ كبير في العديد من المدن الأوروبية وأقاموا فيها فروعا.[1]
ويقول رائين كذلك حول تماشي مجاراة الفرسان للعلوم الباطنية لدعاة الفاطمية الاسماعيلية:
وأقام هؤلاء الأشخاص على إثر إقامتهم في فلسطين وسورية، علاقات مع بعض دعاة الفاطمية والباطنية والصباحية واطلعوا على تعاليمهم السرية... إن قبول تعاليم الإسماعيلية ومكافحة الفرسان لنفوذ أصحاب الكنيسة سرعان ما أدى إلى تدفق تهم وإفتراءات الأوساط والبلاطات الأوروبية بإتجاههم.[2]

وحسب بعض القرائن، فان تواصل واستئناس «فرسان الهيكل» مع الجمعيات السرية والباطنية الإسماعيلية، بلغ حدا أن الفرسان خانوا الكنيسة المسيحية رغم مهمتهم الذاتية وإلتزامهم تجاهها:

إن هذا التحول دفع بفرسان الهيكل بصورة تدريجية إلى التعاون مع المسلمين في الكثير من الأحيان أكان بصورة باطنية وخفية أو علنية وجلية وحتى أنهم تصرفوا بما يضر المسيحيين وتسببوا لهم بارباكات في بعض الأحيان، بحيث أن المؤرخين قالوا إن إخفاق الإمبراطور «كوتواد الثالث» في محاصرة «دمشق» عام ٥٤٣ للهجرة (١١٤٩م.) حصل من جراء مساومة فرسان الهيكل مع معسكر مسلمي المدينة.[٣]

وقد أكد المؤرخون أن عدة مدن للمسلمين تم تداولها وتبادلها خلال الحروب الصليبية بين فرسان الهيكل والباطنيين والإسماعيليين. وفضلا عن ذلك، فقد أثر أسلوب عمل الإسماعيلية عليهم لدرجة أن أكابر وأعاظم أوروبا ممن كانوا يعارضون فرسان الهيكل، قتلوا على طريقة الإسماعيلية وعلى يد فدائيي هذه الفرقة.[٤]

ومن أمراء الفرنجة الذين قتلوا على يد الإسماعيلية، كان ريموند، كونت «طرابلس» الذي قتل عام ١١٥٢ للميلاد.[٥]

ويقول **محمّد عبد الله عنان** في وصف ماضي وتاريخ الجمعيات السرية:

وقد اقتبس فرسان الهيكل نظام إدارة فرقتهم وهيكلهم التنظيمي من الفرقة الإسماعيلية، وأرسوا على ذلك الأساس، تنظيمهم السري.

وقام «فن هامار» بتشبيه مراتب الدعاة والرفاق والفدائيين في جمعية الإسماعيلية بالمراتب الثلاثية في تنظيم «البناؤون الأحرار» التي هي عبارة عن أساتذة البناء وتلامذة هذه المهنة والشبان المبتدئين.[٦]

إن تجربة أداء قسم كبير من الفرق والتنظيمات صاحبة الهياكل المعقدة والسرية تظهر أن هؤلاء أقاموا تواصلا وترابطا مع اليهود بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وقد حقن بنواسرائيل دائما نهجهم بين هذا القبيل من الفرق واستفادوا من عُدتهم وعديدهم لمصلحتهم.

ولا ننسى أن عامة السحرة ومدمني العلوم الخفية، يعتبرون إقتراف الذنوب والمعاصي وهتك حرمات المصادر والشخصيات المقدسة والدينية، وسيلة وتوطئة للتواصل مع القوى الشيطانية الماورائية والتعاون معها. إن هذا القبيل من الممارسات الشنيعة يتمتع بمكانة خاصة في جميع التعاليم السرية للسحرة.

وقد حصل هذا كله فيما أثار موضوع الردة والسحر، موجة من الرعب الحقيقي بين مسيحيي أوروبا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد.

إن دراسة أداء «فرسان الهيكل» تظهر أن هؤلاء أصيبوا وأدمنوا شيئا فشيئا على الآثام والمعاصي وحتى الكفر، بحيث أن ذلك دفع الكنيسة المسيحية والبابا إلى التدخل وصدور الأوامر بمحاكمة الفرسان.

وفي أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، ساء صيت الفرسان وشك فيهم رجال الدين إضافة إلى أنهم أصبحوا موضع شك وشبهة من لدن عامة الناس، ونسبت إليهم أمور وفضائح كثيرة بما فيها الإستغراق في شرب الخمر والإعتداء على الأعراض وارتكاب الكبائر، وألقيت ظلال من الشك على معتقداتهم الدينية وأسسهم السرية، بحيث أن البابا «كلمنت الخامس» أمر في عام ١٣٠٥ للميلاد، الأستاذ الأعظم لـ «فرسان الهيكل» والذي كان «جاك دو مولاي» آنذاك بمغادرة قبرس. وكان يعمل آنذاك على تنظيم قوات الصليبيين وتوجه حسب أمر البابا إلى فرنسا وجلب معه كمية كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات التي كان الفرسان حصلوا عليها من الشرق.

وفتح البابا تحقيقا بشأن ردتهم عن الديانة النصرانية وإعتناق التعاليم الوثنية وقام بدراسة حول أنواع كفرهم وكبائرهم. وفي تلك الفترة كان «فيليب مقبول» يحكم فرنسا وكان في وفاق مع «فرسان الهيكل» لكنه خاف وتقدم على البابا في ملاحقتهم وقمعهم وألقى القبض على جميع فرسان الهيكل من الفرنسيين في أكتوبر ١٣٠٧ للميلاد، وأدرج

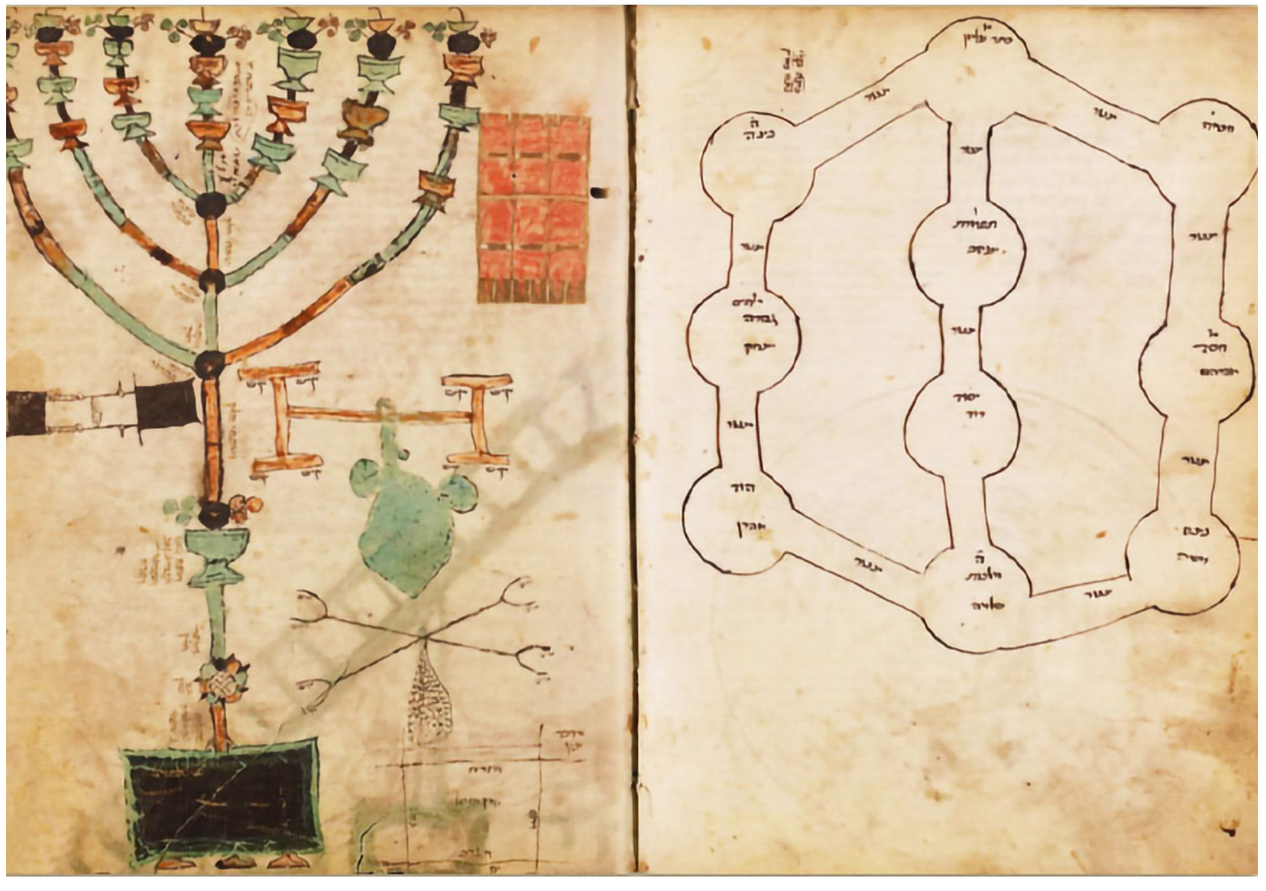

المدعي العام، التهم التالية في لائحة الإتهام ضدهم:

١. إن بروتوكول الإنخراط في الجمعية يتضمن الإساءة إلى الصليب وإنكار المسيح وارتكاب الفسق والفجور؛

٢. إنهم يعبدون الأوثان ويقولون إن الوثن هو الإله الحقيقي؛

٣. إنهم يتجاهلون تلاوة ألفاظ التقديس أثناء إقامة القداس؛

٤. لقد خصص قادتهم أخذ الإعتراف وحق غفران الذنوب لهم وحدهم في حين أنهم ليسوا من رجال الدين؛

٥. إنهم يبيحون إرتكاب العمل الإجتماعي الشاذ (والقصد منه اللواط).

وقد إعترف بهذه التهم الكثير من الفرسان بمن فيهم جاك دو مولاي، فيما أقر بعضهم أن صليبا قدم له خلال إنضمامه للجمعية ركب عليه تمثال المسيح، وكانوا يسألونه هل تؤمن بالوهيته (المسيح) أم لا؟ فان كان الجواب نعم، كانوا يقولون له أنه في ضلال، لان المسيح ليس الله، بل نبي مزيف، والبعض الاخر كان يقر أنهم كانوا يؤمرون أن يبصقوا على الصليب وأرغم العديد منهم على ارتكاب الممارسات الشنيعة من قبيل العمل الإجتماعي الشاذ (اللواط).

وعلى الرغم من الإحتجاج على تدخل «فيليب مقبول» في التحقيق مع هذه الفرقة، قرر البابا فتح تحقيق حر بشأنهم، لان تحقيق المدعي العام الفرنسي مع هذه الفرقة، تخلله ممارسة التعذيب. وأخذ المدعي العام أقوال وأقارير عدد كبير من «فرسان الهيكل» بحضور البابا شخصيا وحقق مع أستاذهم الأعظم «جاك دو مولاي» ودعاة الجمعية بحضور مجمع الكردينالات، وأقر هؤلاء أن ما نسب إليهم من إنكار المسيح والإساءة إلى الصليب، صحيح وأيدوا إرتكاب الرذائل المقيتة والأعمال الشنيعة التي أقروا بها للمدعي العام، ومع ذلك، لم يقتنع البابا بجرائم الجمعية بشكل عام وقرر تشكيل لجنة تحقيق بابوية في «باريس». للبت في ممارسات الجمعية. وتشكلت هذه اللجنة عام ١٣٠٩ للميلاد واستدعوا الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل وأزيد من مائتي فارس وشرعت تحقيقات بطيئة بواسطة عدد من كبار الأساقفة والقساوسة. وعدل بعض الفرسان بمن فيهم الأستاذ الأعظم بعض الأقارير السابقة إلى حد ما، وحادوا عما كانوا قد قالوه فيما صدق البعض الاخر صحة التهم الشنيعة التي نسبت إلى الجمعية. وأنجزت تحقيقات أخرى مع الفرسان في عدد من مدن ايطاليا وألمانيا وأفضت في النهاية إلى أن يصدر «كلمنت الخامس» مرسوما أشار فيه إلى جرائم الكفر وشنائع الأعمال التي تسببت باعتقال فرسان الجمعية في بريطانيا وفتح تحقيقا [في هذا الخصوص]. واعترف بعضهم بالتهم المذكورة فيما شهد شهود من الخارج على صحة هذه الإعترافات.

وما إن أفشيت أسرار الفرسان وفضحوا بالتالي، غضبت جميع الدول عليهم واتخذ البابا قرارا باتا وأصدر «مجلس وينه المقدس» قرارا بعام ١٣١٢ للميلاد بشأن حل الجمعية السرية المذكورة، وعلى إثره تعقيب أعضاء الجمعية أي «فرسان الهيكل» أينما وجدوا، ومارسوا أبشع أنواع التعذيب ضدهم في فرنسا وأحرقوا أربعة منهم وهم أحياء عام ١٣١٠ للميلاد، ومن ثم تم إحراق الأستاذ الأعظم جاك دو مولاي في مارس ١٣١٤ للميلاد.[٧]

وهناك قرائن تشير إلى أن الفرسان كانوا يعتبرون تعليماتهم السرية والمهمة، بانها تخص أصحاب السر وأمناء السر، فيما كانوا يلقنون الأنصار والعوام تعليمات أخرى.

ويقول اسماعيل رائين حول أحد التهم التي وجهتها سلطات الكنيسة لهذه الجمعية:

١. ... إقامة مراسم تتسم بالكفر أثناء قبول الأعضاء الجدد وتنفيذ بروتوكولات من قبيل: إهانة الصليب وإنكار ألوهية المسيح والإبتهال باسم شخص كانوا يعتبرونه إلها حقيقيا؛

٢. إطلاق ألفاظ وعبارات خاصة وغير صحيحة أثناء إقامة القداس؛

٣. الصفح عن الذنوب من قبل رؤساء الجمعية وبذلك التدخل في عمل الكنسية؛

٤. إشباع الشهوات بالطرق غير الطبيعية.[٨]

وإضافة إلى ذلك:

وأتهم الفرسان أيضا بالمشاركة في مجالس المثلية الجنسية والعمل المتسم بالكفر. وأقر أحد الأخوة أن «جاك دو مولاي» كان يقيم علاقات مثلية. إنهم كانوا يعبدون «بافومت»[9] وهو الوثن ثنائي الجنس والشهواني.

وتشير وثيقة «البحر الميّت»:

وحسب الرموز اليهودية فان مفردة «بافومت» تعني «سوفيا» أي «الحكمة» باللغة اليونانية.

إن بافومت كان بحاجة إلى دماء جديدة للضحايا. ولهذا السبب كان «فرسان الهيكل» ينحرون الأطفال. وكلما كان يراق دم أكثر كلما كان نظام فرسان الهيكل يصبح اقوى... ومن وجهة نظر فرسان الهيكل، فان «بافومت ازمندس» (آسموديوس) كان حارس خزنة سليمان. ولقب آسموديوس في «التلمود» الكتاب المقدس لليهود، زعيم الشياطين.[10]

ويقول بعض المؤرخين حول علاقة الفرسان بالتعاليم السرية والعلوم الغريبة الرائجة لدى الاسماعيليين:

لقد تعلم أحد الفرسان وكان يدعى «جيوم دمونبار» مذهب الإسماعيلية على يد «شيخ الجبل» في مغارة من مغارات «جبل لبنان» عندما كان هذا الموقع، معقلا لفرسان فلسطين. ويشير «فن هامار» إلى أوجه الشبه بين تعليمات الاسماعيلية وفرسان الهيكل فيما قدم «كلاول» المؤرخ الشهير لـ«البناؤون الأحرار» توضيحا في هذا الخصوص وقال:

«ويذهب المؤرخون الشرقيون في العصور المختلفة إلى أن فرسان الهيكل كانوا يقيمون علاقات وثيقة مع الإسماعيلية ويبيون أوجه الشبه والتماثل في الفرقتين ويقولون إن كلتا الفرقتين إختارتا لأنفسهما اللونين الأحمر والأبيض كشعار، واتبعتا أنظمة موحدة واعتمدتا نفس تلك المراتب أو الدرجات في جمعيتهما. وكانت مراتب الفدائيين والرفاق والدعاة في إحدى تلك الفرقتين (الإسماعيلية) تساوي مراتب المبتدء والمنتهي والفارس في الفرقة الاخرى (فرسان الهيكل)، وكانت كلتا الفرقتين تتآمران لهدم ونسف الدين الذي كانتا تتظاهران بالإيمان به أمام العامة، وبالتالي فان الفرقتين، استحوذتا على قلاع عديدة، فالاسماعيلية في اسيا وفرسان الهيكل في أوروبا».[11]

وثمة رواية أخرى تستحق الإنتباه طبعا حول الفرسان، تنسبهم إلى التوجهات اليهودية:

وقيل أن أحد «فرسان الهيكل» ويدعى «جيوم دمونبار» إنخرط في هذا المذهب بتوجيه من أحد شيوخ وكبار مذهب الاسماعيلية عندما كان الفرسان يتخذون من فلسطين معقلا لهم.

وذكر المؤرخون أن هناك أوجه شبه كثيرة في التعاليم الدينية للاسماعيليين وفرقة فرسان الهيكل. ويقول المؤرخ الماسوني «كلاول» في هذا الخصوص:

«إن المؤرخين الشرقيين في العصور المختلفة يرون ان فرقة فرسان الهيكل كانت تقيم علاقات وثيقة ومتينة مع الاسماعيليين. ومن أجل إثبات هذا الإدعاء يركزون على أوجه الشبه بين هاتين الفرقتين في الحالات المختلفة، بما في ذلك أن كلتا الفرقتين، اختارتا اللونين الأحمر والأبيض لهما واتبعتا نظاما ودرجات موحدين، على سبيل المثال، كان درجات الفدائيين والرفاق والدعاة لدى الاسماعيلية تساوي درجات المبتدء والفارس. وأحد أوجه الشبه الاخرى بين هاتين الفرقتين هو التواطؤ والتخطيط للقضاء على الدين الذي كانوا يتظاهرون باتباعه أمام الناس، وفي النهاية فان كلتا الفرقتين كانتا تملكان قلاعا كثيرة وقوية، فالاسماعيليون كانت لهم قلاع في اسيا وفرسان الهيكل في أوروبا».[12]

الهوامش:

١. رائين، إسماعيل، «الماسونية في ايران»، طهران، إصدارات مؤسسة رائين للدراسات، الطبعة الثانية، ١٣٤٧هـ .ق.، ج ١، صص ٢٦٥-٢٦٦.
٢. المصدر السابق.
٣. مرتاض زادة بنجابي، «نبذة تاريخية عن الجمعيات السرية منذ العهد القديم وحتى الجديد»، طهران، فردوسي، ١٣٢٢هـ .ش.، ص ٣٤.
٤. مرتاض زادة بنجابي، «نبذة تاريخية عن الجمعيات السرية منذ العهد القديم وحتى الجديد»، ص ٣٤.
٥. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ترجمة علي هاشمي حائري، طهران، إصدارات مكتبة بهجت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ٦٤.
٦. المصدر السابق، طهران، إصدارات مكتبة بهجت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ٥٨.
٧. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».
٨. رائين، اسماعيل، «الماسونية في ايران»، ص ٢٦٧؛ نقلا عن كتاب «فضائح الماسونية»، ص ١٩٨.
9. Baphomet.
١٠. جوري، لينا، «مهندسو الخداع: التاريخ الخفي للماسونية»، الفصل الأول.
١١. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ٧٦.
١٢. عبدالحكيم، منصور، «حكومة العالم الخفية».

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة » (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

محمّدحسين مظفر

ايـــران – القسم الأوّل

كانت «فارس» بعد ما فتحها المسلمون تتهافت على اعتناق الاسلام، فما تم فتحها الا و اصبحت من الاقطار الاسلامية، و كانت بدء اسلامها لا تعرف التشيع بل حتى ايام امير المؤمنين عليه السلام، فان التاريخ لم يذكر انهم اشتركوا في حروبه الثلاثة، على انه دعا عماله لنصرته، كما لم يذكر انهم أظهروا ولاءه في عهده، و هكذا الحال ايام نهضة الحسن عليه السلام و امارته تلك الليليات القليلة، بل لم يذكر ان أحدا منهم كان مع الحسين عليه السلام يوم الطف سوى غلام تركي، و هذا كان غلاما للحسين عليه السلام و لم يكن جاء لنصرته، على انهم ذلك العهد كانوا منبثين في «الحجاز» و «العراق».

ما ظهر التشيع بمعناه الخاص الا بعد مجيء ابي الحسن الرضا عليه السلام الى «ايران». و كان **المأمون** غير مدافع لارباب الولاء عن حضورهم لديه و تهافتهم عليه. فكان الوصول اليه و الاجتماع به و مناظرة العلماء له في فنون العلم بأمر المأمون و فلج الناظرين و انقطاع حججهم، و ظهور كراماته، و مشاهدة فضائله، يلفت ذوي البصائر الى أحقيته بالامر، و انه و آبائه معدن العلم النبوي، و خزان الوحي، و الأئمة حقا، ففي ايامه ارتفع منار التشيع في «قم»، و قضت دورا مهما و هي تحتوي على جهابذة العلماء و ثقات الرواة.

الامارة الطاهرية في هرات

مؤسس هذه الامارة، و رأس هذه الاسرة، و اليه تنتسب، هو القائد **طاهر بن الحسين الخزاعي**، ولاه المأمون «هرات» و قاعدتها خراسان عام ٢٠٥هـ.

قال **ابن الاثير** في حوادث عام ٢٥٠ «٤٠:٧» في الحرب التي وقعت بين **الحسن بن زيد العلوي** الذي ظهر بـ«الديلم»، و بين **سليمان بن عبد الله الطاهري**. و لما نشبت الحرب بينهم سار بعض قواد الحسن نحو سارية فدخلها، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو و من معه، و ترك اهله و عياله و ثقله و كل ماله بسارية، و استولى الحسن و اصحابه على ذلك جميعه، الى ان قال: **و قيل ان سليمان انهزم اختيارا، لان الطاهرية كلها كانت تتشيع، فلما اقبل الحسن بن زيد الى «طبرستان» تأثم سليمان من قتاله لشدته في التشيع، و قال:**

نبئت خيل ابن زيد أقبلت حينا
تريدنا لتحسينا الامرينا
يا قوم ان كانت الانباء صادقة
فالويل لي و جميع الطاهرينا
اما انا فاذا اصطفت كتائبنا
أكون من بينهم رأس الموالينا
فالعذر عند رسول الله منبسط

الدولة الطوية في الديلم؛ الحسن بن زيد

ولي الامر في الديلم اربعة من العلويين، أولهم الحسن بن زيد، و كان بـ«الري» فشخص الى الديلم بدعوة من أهلها، فاتفقت كلمة الديلم و اهل كلار و شالوس و الرويان على بيعته، فبايعوه كلهم، و طردوا

عمال ابن اوس، فلحقوا بسليمان بن عبد الله الطاهري، و انضم الى الحسن جبال «طبرستان» كـ«أصمغان» و «قادشان»، و انضم اليه **ليث بن قتادة** و جماعة من أهل السفح، ثم استولى على آمد و كثر جمعه بعد استيلائه عليها، و كانت له مع الطاهريين عدة حروب، فتارة تكون له الغلبة عليهم، و اخرى لهم عليه، و مرة يتغلبون على طبرستان، و اخرى يسلبها منهم، و لقد استفحل امره حتى ملك الري و «جرجان».[١]

و لما ضعفت امارة محمد بن طاهر الطاهري و تغلب عليه يعقوب ابن ليث الصفار قويت شوكة العلوي، و لكن يعقوب لم يشأ ان يقر العلوي على ما تحت يده من البلاد، فجهز جيشا لقتال العلوي عام ٢٦٠ فانهزم العلوي و لحق بالديلم و استولى يعقوب على آمد و سارية، و سار لطلب العلوي فتعلق بجبال طبرستان، و اعترضت يعقوب الامطار و الاوحال فلم يخلص الا بمشقة و في عام ٢٦١ رجع العلوي و استولى على طبرستان، و استمر مستوليا على هذه البلاد الى ان وافاه الاجل المحتوم في رجب عام ٢٧٠، و كانت ولايته ١٩ عاما و ثمانية اشهر و ستة ايام.[٢]

و لما قضي الحسن قام من بعده اخوه محمد، و كانت ايامه كلها حروبا و وقائع، فتارة مع الصفارية، و اخرى مع **اسماعيل بن احمد السامانی**، فأصابته جراحات في معركة هائلة كانت بينه و بين **محمد بن هارون** الذي تولى حربه من قبل اسماعيل، و أسر ابنه زيد، ثم مات محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته عام٢٨٧هـ.[٣]

الشيعة و البويهيون في ايران[٦]

كان ابتداء سلطان آل بويه في «شيراز» ثم سرى نفوذهم الى ايران و العراق، بل و الى جميع بلاد بني العباس، و كانوا أرباب التدبير في جميع المملكة على عهد دولتهم، و ليس للخليفة العباسي الا مراسيم الخلافة، و هذا معلوم الشأن، لا يجهله من سبر شيئا من التاريخ.

طبع آل بويه على خدمة المذهب، شأن الملوك و الامراء ذلك العهد اذا تمذهبوا بمذهب، فانهم ينتصرون لما انتحلوه جهدهم، و قدر ما تصل اليه معارفهم و مداركهم، فكانت ايام آل بويه كلها ايام سعي و ترويج لمذهب اهل البيت عليهم السلام، فتجدهم يسلكون كل سبيل لنصرته، و اعلاء شأن العترة النبوية.

كانوا في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، و هو يوم غدير خم، الذي رقى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله منبرا صنعه المسلمون له من حدوج الابل، و خطب عليه مبينا فضل أهل بيته و فضل المرتضى الى آخر ما قاله و هو يخطب: «**ألست أولى بكم من أنفسكم، فقال المسلمون: بلى، فلما أخذ الاقرار منهم بذلك، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.**»

هذا بعض ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في شأن ابي الحسن عليه السلام، فكانت الشيعة ترى هذا اليوم عيدا من أجل الاعياد، لان الرسول صلى الله عليه وآله نصب فيه المرتضى للناس من بعده اماما و خليفة و أولى بالناس من أنفسهم، فكان ملوك الشيعة أجدر باحترام هذا اليوم و اعظامه، فالبويهيون اعظموا هذا اليوم مجاهرين في تقديسه، و صنعوا فيه ما لا يصنعون في عيد سواه، من اظهار الفرح و الجذل، و لبس أفخر الثياب، و التأنق في المطاعم، و بسط الموائد و عليها اطيب الاطعمة للرائح و الغاد، و اكثار الانفاق و الاعطاء، الى ما سوى ذلك ما يدعو اليه و لاؤهم للمرتضى و تبجيل هذا اليوم و اعزازه. و تبعهم على ذلك ملوك الشيعة و امراؤهم في كل «قطر»، و منهم الفاطميون في «مصر».

و يشهد لما كان عليه الشيعة من تظاهرهم بالجذل هذا اليوم و اتخاذه عيدا ما قاله ابن الاثير في حوادث عام ٣٠٨ «٩:٥٤» و فيها عمل أهل باب «البصرة»- محلة ببغداد - يوم السادس و العشرين من ذي الحجة زينة عظيمة و فرحا كثيرا، و كذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثلما يعمل الشيعة عاشوراء، و سبب ذلك ان الشيعة بالكرخ[٧] كانوا ينصبون القباب، و تعلق الثياب للزينة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة و هو يوم الغدير، و كانوا يعملون يوم عاشوراء من المآتم و النوح و اظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل اهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية ايام مثلهم، و قالوا: هو يوم دخل النبي صلى الله عليه وآله و **ابو بكر** الغار، و عملوا بعد عاشوراء بثمانية ايام مثلما يعملون يوم عاشوراء، و قالوا: هو يوم قتل مصعب ابن الزبير.[٨]

و ما اقتصر آل بويه على خدمة المذهب بمظاهر السرور يوم الغدير و شعائر الحزن يوم العاشر من المحرم فحسب، بل كانوا يبذلون جهدهم في خدمة اهل البيت عليهم السلام من شتى الوسائل، فكانوا يحترمون علماء الشيعة بجميع طرق الاحترام من التبجيل و العناية و بذل الاموال الكثيرة، حتى ان عضد الدولة كان يركب في موكبه العظيم لزيارة **الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان**، و حتى قال ابن الاثير في حوادث عام ٣٧٢ «٩:٨» و كان - أي

عضد الدولة - محبا للعلوم و اهلها، مقربا لهم، محسنا اليهم، و كان يجلس معهم يعارضهم في المسائل[٩] فقصده العلماء من كل بلد و صنفوا له الكتب، منها الايضاح في النحو، و الحجة في القراءات، و الملكي في الطب، و التاجي في التاريخ، الى غير ذلك.

و كلام ابن الاثير هذا يشهد بحبه لعامة أهل العلم لا الشيعة خاصة، و هذا يرشدنا الى ما قلناه عن آل بويه اولا من انهم لم يعارضوا مذاهب أهل السنة، بل انه دليل على تأييده للعلم من كل مذهب.

و أسكنوا الشيعة في المشاهد المقدسة و خصصوا لهم الرواتب، و اجزلوا لهم العطاء، فان تلك المشاهد اذا سكنت خف لها القاصدون، و سهل على الزائرين الاقامة فيها.

و أقاموا الابنية الضخمة و عليها القباب الرفيعة لتلك الضرائح الكريمة، حتى ان عضد الدولة استقام في المشهد العلوي لتعمير المرقد الشريف هو و جنده قريبا من سنة، فعمره عمارة كانت الغاية في العظمة و الفخامة، و الاتقان في ذلك العهد، و بنى الدور و الرباطات، و أجزل العطاء للعلويين و العلماء و المجاورين و سدنة المرقد و قوامه، و أصلح القناة التي أوجدها آل أعين فاشتهرت بقناة آل بويه، و على مثل ذلك جرت اعماله في المشهد الحسيني على من شرفه و آله و صحابه أزكى التحيات.

و ما زالوا يقصدون هذه المراقد الكريمة زائرين و هم احياء، و تنقل اجسامهم اليها و هم أموات، و قد وجدت لهم قبور في صحن المرقد العلوي خلف المرقد مما يلي باب الصحن المعروف بباب الطوسي.

و جملة القول انهم اجتهدوا في خدمة المذهب ما استطاعوا، و أحيوا التشيع ما اقتدروا، حتى ان بعض المؤرخين اعترف بانتشار التشيع في عهدهم، و تكثر الشيعة في دولتهم، و آثارهم في ايران و العراق شاهدة عليه، و قد خلدها التاريخ لو اندرست، و من وقف على تاريخ ايران قبل دولتهم و في ايامهم عرف ما كان لهم من الاثر الجليل في حفظ التشيع نشره و كفى لاستقامة التشيع و انتشاره استيزارهم لمثل الصاحب بن عباد[١٠] المصارح في التشيع و المتفاني في سبيله، و لو أردنا بسط القول في خدماتهم الدينية و المذهبية و مناصرتهم للتشيع لا تسع المجال، و خرجنا عن الصدد فان البيان عن آثارهم تقصر عنه مثل هذه الصحائف النزر.

الشيعة و المغوليون[١١] في ايران

لم تقم دولة ذات شأن بين الدولتين البويهية و المغولية - على بعد العهد بينهما - تناصر التشيع، و تأخذ بيده، بل ربما قامت بعض طول فقاومت الشيعة و ناصبتهم العداء، كالدولة السلجوقية، و أعمالها في محاربة الشيعة ببغداد و غيرها مسطورة في كتب التاريخ.[١٢]

نبغت الدولة المغولية و استولى **هولاكو** على ايران، و حمل على العراق في المرة التالية. كان هولاكو يحترم الاديان و اربابها، و يعظم اهل العلم و الصلاح، و ان كانوا من غير أهل ملته، و من ثم جمع بين علماء الفريقين الشيعة و السنة يوم جاء فاتحا للعراق، و ما أباح بغداد لانها بلد اسلامي، فكانت فعلته عداء للاسلام، بل لانها حاربته و قاومته، و هو سفاك فتاك، يفتك في كل بلد يحاربه و يتغلب عليه و ان كانوا من اهل دينه، فكانت الاديان في عهده كلها حرة، و بنهجه سار الملوك من سلالته،[١٣] و ان الشيعة ليكفيها في حياتها و حياة مذهب اهل البيت عليهم السلام اطلاق الحرية لها فحسب، و اما المعاضدة و المناصرة من أمير او وزير فذاك فوق المرغوب فيه و المطلوب.

و لما أطلق هولاكو للاديان و المذاهب الحرية، و منها مذهب أهل البيت عليهم السلام، و لم يتعرض بسوء لاهل الحلة و المشهدين الشريفين العلوي و الحسيني و كلهم شيعة، حسب البعض انه اسلم و اعتنق مذهب التشيع، الا ان ذلك و هم، لان ما سبق وحده لا يصلح برهانا، لا سيما و الحرية عامة، و اما سلامة هذه البلاد الشيعية فكانت بتدبير علمائها و اهل الرأي منها، فانهم اخذوا منه الامان لها قبل فتحه لبغداد، و انما جلب هذا الوهم هو ان السلف اعتادوا على اضطهاد الشيعة، و الشيعة اذا رفع عنهم الحجر اطلعوا رءوسهم و ظهر أمرهم، و هذا احد الاسباب لتضييق مناوئيهم عليهم، و سد أبواب الهواء عنهم، و جهلوا ان مثل هولاكو ان سلب الحرية من مذهب فلا وجه لسلبه من الشيعة خاصة لانه - ان بقي على الكفر - كان عدوا لمذاهب الاسلام كلها.

أسلم من ملوك المغول اربعة، **تكودار بن هولاكو** و تسمى بـ**أحمد**، و **غازان بن ارغون بن بغا بن هولاكو** و تسمى بـ**محمود**، و **نيقولاوس اخو غازان** و تسمى بـ**محمد خدابنده**، و **القاءان بهادر خان ابو سعيد ابن محمد خدابنده**.

أما غازان فانه لما تغلب على بايدو و استتبت له الامور أسلم و أسلم معه من الجند مائة الف أو أكثر و هل تشيع بعد ما أسلم، ذلك ما لا يمكن البت به، غير ان هناك امارات دالة على تشيعه منها انه لما جاء الى العراق في عام ٦٩٦ توجه الى «الحلة» و قصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فزار ضريحه المقدس و أمر للعلويين بشيء كثير، ثم قصد مشهد الحسين عليه السلام و فعل مثل ذلك، و هكذا فعل يوم جاء العراق عام ٦٩٨.[١٤]

و منها انه بنى ببغداد عام ٦٩٦ دورا لضيافة العلويين الذين ينزلونها، و سماها دور السيادة، و انفق عليها أموالا طائلة، و وقف عليها الاملاك و الضياع.

و منها انه حفر ثلاثة أنهر من الفرات كان أحدها لمدينة كربلا[١٥] الى أمثال ذلك فغلب على الظن تشيعه، لان امثال هذه الامور لا يصنعها غالبا الا من جرى دم التشيع في عروقه.

و أما نيقولاوس محمد خدابنده فكان بدء اسلامه على مذهب أبي حنيفة و لما وفد عليه **نظام الدين عبد الملك الشافعي**، و هو أعلم وقته من أهل السنة، جعله قاضي القضاة في جميع ممالكه، و كان يناظر علماء الحنفية بمحضر السلطان فيفلجهم، و لما ظهرت له الغلبة و **حسن للسلطان مذهب الشافعي** عدل عن الحنفي اليه، غير انه عند ما كثرت المناظرات بين **عبد الملك نظام الدين** و بين علماء الحنفية، و كان ينسب كل منهم الى مذهب الآخر من الرأي و الفتوى، ما لا يستحسن في الدين مثله، ظهر عليه الملل و الضجر، و سأم الحال، بل قيل: عدل برهة عن دين الاسلام، و كان احد امرائه المقربين من الشيعة و هو الامير **طرمطار بن نجونخشي**، فأخذ يطلعه على محاسن مذهب اهل البيت عليهم السلام و يدعوه اليه، فتمايل له، و في هذه الآونة ورد على السلطان **السيد تاج الآوي الامامي** مع جماعة من الشيعة فوقعت بينه و بين نظام الدين مناظرات بمحضر السلطان، ثم جاء بعد ذلك الى العراق و زار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فرأى ما تقوى به مذهب الامامية عنده، فعرض ما شاهده على امرائه، فحرضه على اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام من كان منهم شيعيا، فأمر باحضار العلماء من الشيعة، فأحضر له العلامة الحلي **الحسن بن يوسف ابن المطهر**، فأمر السلطان قاضي القضاة نظام الدين بمناظرة العلامة، و أعد لهم مجلسا حافلا بالعلماء و أهل الفضل، فوقعت المناظرة بينهما في الخلافة – و السلطان يسمع تلك المناظرة – فظهر الفلج على قاضي القضاة، و انتصر العلامة عليه، فأظهر السلطان التشيع من حينه، و أمر به الجند و أهل المملكة، و أجرى في جميع بلاده مراسيم المذهب الامامي، و جعل السيد تاج الدين محمد الآوي نقيب الممالك.

فكانت هذه المناظرة سببا لانتشار مذهب آل محمد عليهم السلام في ايران حتى مد أروقته على جميع بلادها.

و أما ابنه **بمادر خان ابو** سعيد فانه من يوم امتلاكه ناصية الحكم كان على مذهب اهل البيت عليهم السلام، و بموته كان انقطاع دولة المغول.

و جملة القول ان من أزهى عصور التشيع كان عصر المغولية، لان الشيعة انتشقت طلق النسيم في عهدهم، و ظهر علماؤهم مناظرين و محاججين، و كان ذلك العصر يفخر بعلماء جهابذة قلما يجتمع علماء كثر في عصر مثله، و هم أمثال **آل سعيد** و منهم المحقق صاحب الشرائع و العلامة و ابوه و ابنه، و **آل طاوس** و منهم العالم **البر مجد الدين** و السيدان الشريفان **رضي الدين** و **غياث الدين**، و كانا نقيبي الطالبيين في العراق في عهد المغولية، و كذلك **الخواجا نصير الدين الطوسي** امام الفلسفة و الكلام، و الذي تولى وزارة الاوقاف في الممالك المغولية في عهد هولاكو، الى كثير سواهم.

قُبَّة السُّلطانية هي ضريح ثامن سلاطين السُّلالة الإيلخانية محمد أولجايتو الذي شُيِّدَ مابين سنة ١٣٠٢–١٣١٢م. في مدينة «سلطانية».

الهوامش:

١. ابن الاثير، «الكامل التاريخ»، في حوادث عام ٢٥٠هـ، ج ٧، ص ٤٠؛ و حوادث عام ٢٥١هـ، ص ٥٣ و عام ٢٥٢، ص ٥٧ و عام ٢٥٥هـ، ص ٦٦ و عام ٢٥٧هـ، ص ٨٢.

٢. ابن الاثير، «الكامل التاريخ»، ج ٧، ص ١٣٦.

٣. نفس المصدر، ص ١٦٦.

٤. نفس المصدر، ج ٨، صص ٢٦–٢٧.

٥. نفس المصدر، ج ٨، ص ٥٩.

٦. آل بويه من الديلم و تنتهي سلسلتهم النسبية الى الملوك الكسروية، و كان ابتداء ملكهم في «شيراز» عام ٣٢١ و انتهاؤه عام ٤٤٧هـ.

٧. كانت الكرخ محلة واسعة ببغداد في الجانب الغربي محاطة بسور و اهلها كلهم شيعة ليس فيها من غيرهم احد البتة، كما يقوله ياقوت في المعجم، و سمي الجانب كله بعد ذاك باسمها.

٨. أي بأس على الشيعة اذا كان يوم الغار يوم عيد، و يوم قتل مصعب يوم حزن، و كيف يكون ذلك مقابلا ليوم عاشوراء.

٩. في ذيل كتاب «التمهيد» للباقلاني في ترجمته، ص ٢٤٦ قال ابو عبد الله و غيره كان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي يحب العلم و العلماء و كان مجلسه يحتوي منهم على عدد عظيم في كل فن و اكثرهم الفقهاء و المتكلمون و كان يعقد لهم مجالس للمناظرة.

١٠. كان وزيرا لفخر الدولة آل بويه، و كان عالما اديبا متكلما شاعرا جليل القدر في العلم و الادب و الدين و الدنيا، اجتمع حوله من العلماء و الشعراء ما لم يجتمع حول سواه اللهم الا سيف الدولة آل حمدان، و لاجله ألف ابن بابويه طاب ثراه عيون الاخبار. كانت ولادته عام ٣٢٦هـ. و وفاته عام ٣٨٥هـ.

١١. كان ابتداء دولة هولاكو في ايران عام ٦٥٠هـ. و انتهاء دولة سلالته بموت ابي سعيد عام ٧٣٦هـ.

١٢. «تاريخ الحضارة الاسلامية»، ص ٨٥.

١٣. و من اطلاقهم الحرية للاديان ان الصاحب عطاء الملك الجويني صاحب ديوان الدولة الايلخانية المغولية ايام السلطان اباقا بن هولاكو قام يحفر نهر من «الفرات» الى «النجف»، و حيث لا يصل النهر الى ارض النجف لارتفاعها عن مجرى الفرات مما بلي «الكوفة» حفر قناة من النهر الى النجف و اجرى الماء الى النجف في رجب عام ٦٧٢، و قد عمل رباطا في النجف، و وضع اساسه في هذه السنة كما في فرحة الغري لابن طاوس مع ان باقا يومئذ لم يكن على مذهب الجويني.

١٤. انظر الحوادث الجامعة في حوادث هذين العامين.

١٥. «مختصر تاريخ بغداد»، ص ١٤١.

المصدر: محمدحسين مظفر، تاريخ الشيعة، دارالزهراء، بيروت، صصص ٢٠٠–٢١٦

الأسرة المهدوية هي الأسرة القرآنية

د. مسعود ناجي إدريس

يوصى في القرآن الكريم بمبدأ الزواج وبعد ذلك يؤخذ في الاعتبار التربية الأسرية. هناك في القرآن ٢٢٠٠ آية عن الأنبياء يقول الله تعالى في وصفهم: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**»[١]

نزلت هذه الآيات في وصف حوالي ٢٥ نبيا وتم ذكر أسماؤهم في القرآن الكريم. يصف القرآن قضايا الأسرة لبعض الأنبياء، والتي يمكن تقديمها كنموذج مثالي للعائلة المهدوية، ويمكن تعلم العديد من الدروس من هذه العائلات القرآنية. تبدأ الأسرة البشرية الأولى بآدم وحواء وتنتهي بالأسرة المحمدية، وثمرتها الأسرة الفاطمية والعلوية الموصوفة في سورة الإنسان. لدينا ١٢ نموذجا للعائلة النبوية، كل منها تثقف العائلة المهدوية بطريقة ما.

١. **عائلة آدم وحواء:** عائلة النبي آدم عليه السلام وحواء عليها السلام هم أول أسرة بشرية يتسم سلوكها التربوي بالتوبة والتسامح، ومكان التوبة في هذه الأسرة ملموس تماما. يجب على العائلة المهدوية أيضا أن تتوب باستمرار وتطلب المغفرة عن كل أخطائها وذنوبها، وأن تنأى بنفسها عن كل المواقف والطرق والأصول الخاطئة التي تبعد الإنسان عن الله، ويجب على جميع أفراد الأسرة التحرك بنهج الاستغفار.

٢. **العائلة اليعقوبية:** عندما أخطأ أبناء يعقوب، خلق فيهم هذا النبي ثورة كبيرة لتصحيح مسار حياتهم، ورسخ روح الانتظار في الأسرة حتى وصلوا إلى يوسف، وهذا ما يجب مراعاته بجدية في العائلة المهدوية.

٣. **العائلة اليوسفية:** أجمل قصة في الحياة الأسرية لكل منا يمكن أن تكون مثل قصة النبي يوسف عليه السلام، على الرغم من أفخاخ الشيطان الواسعة، يجب ان يكون لدينا فن الهروب من الخطيئة والمعصية ونتسم بالتربية العفيفة.

٤. **عائلة شعيب:** قام النبي شعيب عليه السلام بتربية بناته بغيرة وحياء. إذا كان وجود المرأة في المجتمع ضروريا، فيجب أن يكون هذا الحضور مصحوبا بالحياء والعفة ؛ لسوء الحظ، فإن الحياء والعفة لا يتم مناقشتها كثيرا في المجتمع اليوم، وهذا هو العامل الأكثر أهمية الذي يجذب العائلات إلى الشيطان. في العائلة المهدوية، يجب تطوير روابط الحياء الموجودة عند النبي شعيب .

٥. **العائلة الموسوية:** بالتربية الحليمة وسعة الصدر مثل النبي موسى عليه السلام يمكن تحقيق نهاية جيدة. تعود جذور العديد من الانحرافات العائلية إلى ضيق الأفق. يجب أن نتحلى بالحلم والصبر في بيئة الأسرة.

٦. **الأسرة الأيوبية:** النبي أيوب عليه السلام وزوجته رمز لعائلة عانت من سلسلة من النكبات والمصائب غير العادية. يستمر مرض النبي أيوب لمدة ٩ سنوات. لكن زوجته صابرة وثابتة وتبقى واقفة مع هذا الرجل عندما يتركه الجميع لكن هي لم تتركه بمفرده، تظل ثابتة ومخلصة حتى تشمل هذه العائلة الفضل و اللطف الإلهي. تعتبر عائلة ايوب نموذجا يحتذى به للأسر التي تعاني من المرض والمصائب ؛ يجب على الإنسان أن يصبر باستمرار ويشكر الله في جميع الظروف.

٧. **العائلة داوودية:** من خلال التربية القائمة على الصلاة والاستيقاظ في الفجر مثل النبي داوود عليه السلام، نصل إلى نموذج آخر من العائلة المهدوية. إذا أردنا الوصول إلى مناصب عليا في

الدنيا والآخرة، يجب أن نكون مصلين ونستيقظ فجرا، ويجب أن نؤسس ونرسخ ذلك بين كل فرد من أفراد الأسرة حتى تتم استجابة دعواتنا.

٨. **العائلة السليمانية:** كان لدى النبي سليمان عليه السلام الكثير من القوة والثروة، لكنه لم يكن غافلا عن شكر الله وكان مُمْتَنّا للغاية. ينبغي أن نعلم أن وصولنا إلى كل درجة ومكانة في الدنيا، يكون بفضل الله تعالى. لذلك في جميع الحالات يجب أن نكون ممتنين ونعلم أنه ليس هناك أي شيء من أنفسنا. تعليم الشكر والامتنان عامل مهم في العائلة المهدوية.

٩. **عائلة زكريا:** زكريا عليه السلام وزوجته رمز للعائلات التي ليس لديها أطفال، وكان إنجاب الأطفال رغبتهم وأمنيتهم من الله. يقول الله تعالى أنه نظرا لوجود ثلاث خصائص أخلاقية في هذه العائلة، فقد شملتهم العناية الإلهية بيحيى عليه السلام. يحيى عليه السلام طفل فريد من نوعه يشبه الإمام الحسين عليه السلام. في تلك العائلة، هناك خاصية التربية على السرعة «**يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**»،[٢] التربية على الخضوع والخشوع «**وَ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا**»والتربية القائمة على الدعاء؛ على الرغم من أنهم كانوا كبارا على إنجاب الأطفال، إلا أنهم لم ييأسوا من لطف وفضل الله واستمروا بالدعاء والطلب من الله. يجب أن تؤسس العائلة المهدوية أفرادها على «**أن يُسَارِعُوا فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُون الله رَغَبًا وَرَهَبًا.**»[٣]

١٠. **العائلة الإبراهيمية:** هاجر النبي إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر. وكان الشعار الرئيسي للنبي إبراهيم عليه السلام (أني مهاجر إلى ربي). وبالطبع تبلغ هذه الهجرة ذروتها في الأسرة الإبراهيمية، وفي سبيل الله يهاجرون إلى الصحراء دون طعام وماء، ويعانون الكثير من المصاعب.

في العائلة المهدوية، الرمز الرئيسي هو الهجرة من المعصية. في الأسرة المهدوية، وهي الأسرة القرآنية أو الأسرة المحمدية، يجب أن يكون شعار كل فرد من أفراد أسرته هو الهجرة من المعصية، والتي هي أعلى بكثير من ترك المعصية. الهجرة تعني أن كل يوم يمر من حياة هذه العائلة، يزداد بعد قلبهم وجوارحهم وأعضائهم وروحهم عن المعصية التي تقع تحت ولاية الشيطان. مشكلتنا العامة هي أننا سافرنا، لكننا لم نهاجر. يقوم الراكب بجولات ويعود إلى الأصل. أي أنه يعود إلى مائدة الخطيئة والمعصية. لكن المهاجر يغادر مكانه الأصلي ليبقى في الوجهة ولا يعود أبدا. التطبيق العملي الرئيسي للمعصية هو الهجرة من الذنوب.

سُئل **آية الله بهجت** عما إذا كان يأذن باتباع المسائل العرفانية للآخرين. قال: لقد عمل العرفانيين والأولياء بجد من أجل الإسلام ولكل منهم طريقته الخاصة، لكن طريقتي العرفانية هي أن أترك الخطيئة واهجر المعصية. يجب أن تصل هذه الهجرة من الذنوب إلى نقطة تهاجر فيها جميع الأعضاء «أعضاء الجسم الخارجية» و «أعضاء الجسم الداخلية» من المعصية، وهذا الأمر له أهمية كبيرة.

يجب أن تصل العائلة المهدوية إلى نقطة لا يطرأ فيها أي ذنب على أذهانهم، ناهيك عن ما يفعلونه.

هناك نقطة مضيئة أخرى في الحياة الإبراهيمية. يجب أن تكون تربية العائلة المهدوية هدامة ومعادية للشيطان. إذا كان هذا هو الحال، فسيكون لديهم أطفال مثل الإسماعيليين على استعداد للوقوف والتضحية برأسهم من أجل الدين وفي سبيل الله بدون سؤال.

١١. **العائلة المحمدية:** الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام على رأس هذه العائلات التي كانت صبورة للغاية وصامدة وَمُسْتَقِرة. مع التربية على المحبة، أنشأ النبي عائلة رحيمة. يجب أن نربي أبنائنا في هذا الأفق حتى نصل إلى مقام الإمام المتقين. إذا أصبحت عائلتنا محمدية، فمن المؤكد أن الله يحب هذه العائلة، وهذا ليس بالشيء الصغير.

١٢. **العائلة العلوية والفاطمية:** ثمر العائلة المحمدية، الأسرة الأعلى والأكثر رُقِيّا والأكثر شمولا والأكثر اكتمالا التي تضم جميع خصائص العائلات الرحمانية الأخرى، هي العائلة العلوية والفاطمية. قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله: **اقتدوا بالزهرة.** يأخذ هذا النظام بعين الاعتبار كلا من أبعاد العرفان الفردي والجانب العائلي. النموذج الأكثر شمولية للعائلة المهدوية هم أبناء هذه العائلة. الإمام الحسن، الإمام الحسين، الزينبين عليهم السلام. في هذه العائلة تنكشف لنا طريقة تربية الأولاد والبنات. إن سلوك الأسرة المهدوية هو نفس سلوك الأسرة القرآنية، التي تظهر نفس خصائص الأسرة القرآنية وأنماطها في جمال ومجد الأسرة العلوية. يمكن أن تكون العائلة التي تتحلى بهذه الصفة من أنصار الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهم سيلعبون دورا مهما بين قادة المستقبل في العالم...

الهوامش:

١. سورة الأنعام، الآية ٩٠.
٢. سورة المؤمنون، الآية ٦١.
٣. سورة الانبياء، الآية ٩٠.

أُمومة بديهيات العقل في المعرفة

نعم، لو قلبت المقاييس وألغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمّة من المفضولين والجهّال...

ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أي كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتي بعدالتي وعدم مخالفتي لبديهيات العقل! فكيف نلغي العقل ونعمل خلاف الموازين العقلية في اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمّة عليهم السلام في نشر دين الله تعالى؟!، وإلاّ فإنّ جعل أعوان الإمامعجل من غير الفقهاء بأن يكونوا جهّالاً هو عين المخالفة لبديهيات العقل، إذ العقل حاكم بوجوب تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبرة والنخبة ووجوب الاعتماد على الفقهاء في نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجة البعض المتشبّث بمتشابه دلالة الروايات والتي لا سند لها، حيث يقول بأن المهدي المنتظرعجل عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء...[1] فهو ظن في ظن وتخبط لعدم معرفة الحجج، وبالتالي فهو زيغ وضلال.

كما يتضح اندفاع توهم المتوهم بأنه مع ظهور الإمامعجل لا تبقى حاجة ولا دور للفقهاء ولا للاستنباطات الظنية لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصيل العلم بالأحكام الواقعية من الإمامعجل مباشرةً، لاسيّما وأن الإمامعجل يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامل علوم الناس وعقولهم فذلك لا يعني كونهم أنبياء كما لا يعني أن الطريق الذي يتلقون منه العلم هو قناة الوحي كما لا يعني صيرورتهم في مستوى علمي واحد، بل يبقى بينهم تفاوت وفوارق في المستوى العلمي والعقلي حتّى مع حصول تطور علمي وتكنلوجي هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعة بحيث يكون بامكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرةً ليأخذ الحكم الشرعي القطعي الواقعي منه، فإنّه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلمية والعقلية بين الناس، ومن ثَمَّ لا يكونون كلهم بدرجة حواريي وأصحاب الإمامعجل الـ (٣١٣) وإذا وجدت الفوارق العلمية والعقلية بين عموم الناس فبالتالي يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطة ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أي ليكون واسطة بينهم وبين الإمامعجل لايصال الأحكام ونحوها.

كما أن السُنّة التكوينية لقيام دولة الظهور ودولة الرجعة ليست قائمة على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناة واحدة، بل تبقى القنوات الظنية على حالها ويبقى الدور المناسب في كل مجال لأهل التخصص والخبرة، وبالتالي يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعبارة أخرى إن قوله تعالى: «**وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.**»[2]

لا يطرأ عليها النسخ، فهي تبين ترسيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: «**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ.**»[3]

فلا بدَّ للإمام من جهاز عمل وواسطة بينه وبين الناس، وإلاّ بمقتضى طبيعة البشر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشخص واحد على درجة واحدة من الارتباط والفهم والتلقي، نعم تحدد قنوات تشعبية تنازلية الأكثر علماً في الأعلى ثمّ الأقل فالأقل ويكون الإمامعجل على رأس الهرم، وهذا التنظيم في الشريعة لا ينسخ حتّى عند ظهور الإمامعجل لاسيّما أن مفاد آية النفر في سورة التوبة متطابق مع مفاد آية الحكم:

«**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ.**»[4]

في سورة المائدة كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: «**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ.**»[5]

فإنّ مفاد هذه الآية أشار إلى نفس هذا الحكم العقلي الفطري.

فإنّ الناس بالتالي يأخذون من الفقهاء الأحكام والتي تكون ظاهرية بلحاظ علم الإمامعجل لأن ما عند الإمامعليه السلام أكثر واقعية، وقد ثبت في محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان في رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعي أكبر يكون ظاهرياً.[6]

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئذٍ حكم واقعي في رتبته ولكنه ظاهري بلحاظ ما عند الإمامعليه السلام، وهكذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنّه تقدم أن اليقيني بلحاظ يقيني أعلى يكون ظناً _ كما أن الحس يقيني واعتبره القرآن ظناً في قبال المعجزة في فتنة بني إسرائيل والنصارى _ فما يبينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقيني في مرتبته ولكنه ظني بلحاظ ما عند الإمامعليه السلام.

فما دام هناك تفاوت وفوارق في استقاء العلم فلا محالة يبقى لأهل التخصص والاختصاص دور وشأن، وهذا من ضروريات طبيعة الحياة والنظام الاجتماعي والنظام المعيشي البشري في عيشه العلمي والمعلوماتي.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلاّ لأجل استهدافهم وبالتالي استهداف النخبة في الدين لتحصل الفوضى فيه وهو مراد الأعداء، إذ من الطبيعي أن استهداف أيّ مجال من مجالات الحياة إنما يكون بالنيل من المتخصصين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بذلك الاستهداف، فمثلاً من يريد النيل من مجال الطب لتعم الفوضى فيه وبالتالي يستغل الموقف في تحقيق مآربه إنما يبدأ باستهداف الأطباء الماهرين وبذلك يكون الطب فوضى، وهكذا في مجال الهندسة لمن يريد أن تحصل الفوضى فيها وذلك بالنيل من المهندسين الماهرين، وهكذا الكلام في بقية المجالات، لأنه في كل مجال من هذه المجالات هناك ترتب ونظم متسلسلة، وبمقتضى هذا النظم والتراتبية تحصل الحماية من التسويف واللصوصية والتدجيل.

فإنّ الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص في كل مجال هو من فطرة البشر وضمن حدود معينة، وإلاّ فالبديهيات محافظ عليها في كل المجالات.

وعليه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبيل، إذ يسلك الأعداء هذا الطريق لتحصل الفوضى في الدين والمناصب الدينية ليكون بإمكانهم الدجل والاختراق والتلصص في مناصب الدين، لذلك نجد أن أهل البيتعليهم السلام وضعوا قوانين خاصة وضوابط في تحديد المرجعيات والمناصب الدينية لا يمكن تجاوزها إذا حافظنا على أصول ثقافة الدين بالشكل الصحيح ونشر هذه الثقافة بين أتباع أهل البيت، وإلاّ فمن البساطة جدّاً التدجيل على الجهال وخداع السذج.

الهوامش:

١. جاء في «كمال الدين وتمام النعمة»؛ ص ٢٥١.
٢. سورة التوبة، الآية ١٢٢.
٣. سورة النحل، الآية ٤٣.
٤. سورة المائدة، الآية ٤٤.
٥. سورة الزمر، الآية ٩.
٦. يقسم الأصوليون الحكم إلى واقعي وظاهري والأوّل ما كان ثابتاً للشيء لا في ظرف الشكّ بخلاف الثاني الذي يثبت للشيء في ظرف الشكّ والحكم الظاهري ينقسم بحسب ملاكه ودرجة كشفه إلى أقسام ثانوية أخرى وكل حكم منها له ملاكه الخاص من قوة الكشف والمنكشف، وكل حكم من هذه الأحكام بلحاظ ما هو أدون منه مرتبة يكون واقعياً وبما هو أعلى منه يكون ظاهرياً، وهناك تقسيم آخر حاصله أن الحكم الواقعي إذا كان أعظم وأهم ملاكاً فإنه يكون حكماً واقعياً فعلياً بخلاف الحكم الواقعي لنفس الموضوع ولكن ملاكه أضعف فإنه يكون في هذه الحالة ظاهرياً، فالواقعية والظاهرية هنا ليست بلحاظ ثبوت الحكم للشيء في ظرف الشكّ أو عدمه بل هي بلحاظ الملاك الأهم، فالحكم الواقعي في الملاك الأقل أهمية من حكم واقعي آخر يكون ظاهرياً بهذه النسبة وإن كان واقعياً بلحاظ نفسه.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهديعجل.

موضوعات تكميلية حول حياة المهدي عليه السلام وشخصيته
القسم الرابع

علي منتظر القائم

٦. لقاء إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف

في السنوات الأخيرة، أدى الاهتمام المتزايد من قبل شرائح المجتمع المختلفة، وخاصة الشباب، بموضوع المهدوية والانتظار، إلى ازدهار سوق الكتب والدوريات المتعلقة بهذا الموضوع، وبين الحين والآخر يصدر كتاب جديد أو مجلة جديدة في هذا المجال. على الرغم من أن الظاهرة المذكورة مباركة وواعدة بحد ذاتها، إلا أنها تثير الكثير من المخاوف والقلق مما يفرض على العلماء المتخصصين في هذا المجال والخبراء في الشؤون الدينية والمسؤولين الثقافيين في البلاد ضرورة الاهتمام بهذه الظاهرة متوخين المزيد من الحساسية والدقة.

من الأمور المهمة جداً والتي تحتاج إلى مزيد من الاهتمام والدقة، التعامل المفرط مع موضوع التشرفات واللقاء مع إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف. للأسف، أصبح الموضوع المذكور هذه الأيام محط اهتمام العديد من الكتب والمجلات الناشئة، ويحاول مؤلفو وناشرو مثل هذه الكتب والمجلات إثارة أجواء النقاش والحوار، وفي هذا المجال، جذب المزيد من الجمهور وزيادة دخلهم من كتبهم ومنشوراتهم.

بالنظر إلى أهمية الموضوع المذكور وبسبب الأسئلة العديدة التي يطرحها الطلاب والعلماء والشرائح الاجتماعية الأخرى في هذا المجال، سنبحث في جوانب مختلفة من هذا الموضوع.

أ) إمكانية التشرف أو عدمه

قال الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في آخر توقيع أصدره لنائبه الخاص الرابع علي بن محمد السمري:

«يا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّد السَّمُري أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوانَكَ فِيكَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ما بَيْنَكَ وَ بَيْنَ سِتَّةَ أَيّامٍ فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَ لاتُوصِ إِلى أَحَدٍ يَقُومُ مَقامَكَ بَعْدَ وَفاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثّانِيةُ [التّامّةُ] فَلا ظُهُورَ إِلاّ بَعْدَ إِذْنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ذلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ وَ قِسْوَةِ الْقُلُوبِ وَ امْتِلاءِ الأَرْضِ جَوْرا وَ سَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشاهَدَةَ، أَلا فَمَنِ ادّعى الْمُشاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيانِي وَ الصَّيحَةِ فَهُوَ كاذِبٌ مُفْتَرٍ.»[1]

هذا التوقيع الكريم هو أساس العديد من النقاشات والبحوث حول إمكانية أو عدم إمكانية لقاء المهدي عجل الله فرجه الشريف أثناء الغيبة، وقد أجبر علماء الشيعة على التعليق على هذه المسألة. إن ما يبرز من كل هذه النقاشات والبحوث هو أنه لا يوجد شك في إمكانية لقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وحقيقة أن الكثير من الناس قد حققوا هذا الشرف في زمن الغيبة الكبرى دليل واضح على هذا الادعاء. ومع ذلك، الكلام يدور حول شروطها وسماتها.

ومن النقاط التي يتفق عليها جميع علماء الشيعة في هذا الصدد أنه في عصر الغيبة الكبرى، أغلق باب النوابب والسفراء كما كان الحال بالنسبة للنائب الخاص له عجل الله فرجه الشريف أثناء الغيبة الصغرى. لذلك لا يمكن لأحد أن يدعي أنه على علاقة بهذا الإمام أو يمكن أن يقابله متى شاء، أو أنه قام بتمثيله على وجه التحديد للقيام بأشياء أو إعطاء الأوامر.

النقطة الأخرى التي أشار إليها العديد من علماء الشيعة في كتبهم وأعمالهم، وهي أن لقاء إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف يتطلب مهارات خاصة لم يحققها حتى الكثير من الكبار، بل حققته مجموعة ببذلها الطثير من الجهود.

يقول آية الله جوادي آملي في هذا السياق:

الإمام عجل الله فرجه الشريف وحيد الدهر. مثل شمس السماء. فكما أنك لا تستطيع الوصول إلى الشمس بيدك، فلا يمكنك الوصول بسهولة إلى الإمام عجل الله فرجه الشريف.

كما اعتبر آية الله ناصري وجود السنخية، شرطاً ضرورياً للتشرف بلقاء المهدي عجل الله فرجه الشريف ويقول:

لا يمكن لأحد أن يرى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف أو يتعرف عليه إلا أولئك الذين تركوا البعد المادي للعالم وأقاموا السنخية مع هذا الإمام عجل الله فرجه الشريف الذي هو سلطان علم المجردات. لهذا السبب نعتبر "السنخية" الشرط الأول والأهم لتحقيق التشرف بلقائه. ويمكن لشيئين أن ينضما إلى هذا الشرط وأن يستفيد كل منهما من السنخية بالنسبة للآخر. فإذا كان لدى شخص ما سنخية مع عالم المادة والماديات، فلا يمكن أن يكون قريباً من عالم المجردات أو يتواصل مع الملائكة ومن يفوقهم مرتبة، أي حضرة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف.[2]

واستمراراً لكلامه، يعتبر التبرؤ من الرذائل الأخلاقية (التخلية) والتزين بالفضائل الأخلاقية (التحلية) هو السبيل الوحيد لخلق السُّنخية:

إن تبرؤ الروح من الرذائل الأخلاقية وتطهيرها بالصفات الطيبة والأخلاق الفاضلة هو السبيل الوحيد لتكوين السنخية، وبعدها التشرف بلقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ وما دامت النفس البشرية لا تتحرر من الرذائل ولا تتزين بالفضائل، فإن حجاب الروح يمنعنا من رؤية شمس وجوده عجل الله فرجه الشريف.[3]

بالنظر إلى ما قيل، يجب أن نكون حريصين جداً على عدم التصرف بطريقة تجعل الناس يعتقدون أنه يمكن لأي شخص أن يدعي رؤيته وأن أي ادعاء يمكن قبوله بسهولة.

ب) تصنيف التشرفات

ومن الأمور التي يجب أخذها في الاعتبار في هذا السياق هو ما إذا كان كل من يدعي أنه التقى بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قد رأى بالفعل شخص ذلك الإمام ووجوده الحقيقي، أم أن هناك احتمالات أخرى، فهل هناك شيء بينهما؟ رداً على هذا السؤال، يجب القول إن هناك احتمالات وافتراضات مختلفة في هذا المجال، ولا يمكن أبداً الادعاء بأن جميع المدعين رؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف رأوا ذلك الإمام فعلاً. يقول آية الله جوادي آملي عن تصنيف من نجحوا في لقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

هناك العديد من الحالات التي يكون فيها الشخص مريضاً ويشفى، أو وجد ضالته، ولكن هل يحدث هذا بسبب شخص الإمام عجل الله فرجه الشريف، أو الأولياء الكثر الذين هم تحت إشرافه، أو العديد من طلابه؟ أم أنه يرسل أحد أوليائه؟ لا يوجد برهان على أن الشخص الذي يهدي آخر ضائعاً إلى المنزل أو يحل مشكلة شخص ما هو شخص الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف. هناك الكثير من الأولياء في خدمته وتحت إشرافه. قد يأمر عجل الله فرجه الشريف أحد هؤلاء بحل تلك المشكلة. في بعض الحالات، يلاحظ البشر تلك التجليات النفسية ويتخيلون أنها حقيقة. يجب فصل هذا الجزء الأول، الذي هو بوضوح من التجليات النفسية، عن الواقعية والحقيقة.

في الجزء الثاني، حيث يرى شخصاً حقاً يحل مشكلته، أو يشفي مريضاً، أو يهدي شخصاً ضائعاً إلى وجهته، هنا أيضاً، لا يوجد دليل على أنه المهدي عجل الله فرجه الشريف أو أحد تلامذته. للمهدي عجل الله فرجه الشريف العديد من التلاميذ. قد يكون هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً العديد من الأشخاص الذين يقومون بمهام تحت إشراف حضرته.

الجزء الثالث هو أنه، مثل الراحل بحر العلوم، قد زار حضرته بنفسه والتقى به. ينكر بعض الناس هذا أيضاً، [لكن] هذا ليس له استثناء، ولكنه ممكن أيضاً. لكن هناك مسألتان في هذا القسم: أولاً، لا يحق لأي شخص أن يقول إنني قد التقيت بإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف؛ ثانياً، ليس لدينا الحق في القبول. لقد قيل لنا أن ننكر؛ أي، لا نقول أنه يكذب، بل ألا نحمل الموضوع عبئاً عملياً. لا يعني الإنكار أنك تكذب وأنه لا يمكن رؤية المهدي عجل الله فرجه الشريف.[4] كما يقول آية الله ناصري في هذا الصدد:

كثير من أولئك الذين ادعوا التشرف بلقاء المهدي عجل الله فرجه وتمتعوا أحياناً بفيضه وبركاته، وهم ليسوا أولئك الذين قاموا بزيارته كأصحاب مميزين؛ فهناك خمس مجموعات من الأولياء دائماً تلتقي به عجل الله فرجه وتعمل بجد لخدمته. هؤلاء هم الأوتاد، النجباء، النقباء، رجال الغيب، والصلحاء، وعلى الرغم من أنهم من الناس، فقد حققوا مستوى من تزكية النفس والنقاء الباطني، ويمكن أن يتشرفوا بلقاء المهدي عجل الله فرجه. من ناحية أخرى، باستثناء طبقة الصلحاء، تتمتع بقية هذه الفئات بدرجات التشرف التقديرية ويمكن أن يلتقي أفرادها بالإمام المهدي عجل الله فرجه في أي لحظة يطلبها.

على الرغم من أن عدد هؤلاء الأشخاص مجهول بالنسبة لنا، إلا أنه يقال إن الحشد الموجود في حضوره عجل الله فرجه يزيد عن خمسمائة شخص. إنهم دائماً تحت إمرة الإمام المهدي عجل الله فرجه ويلبون احتياجات الشيعة وأنصار المهدي عجل الله فرجه بأمر حضرته. لهذا هناك عدد من الأشخاص الذين يدعون تشرفهم بلقائه عجل الله فرجه، وعلى الرغم من أنه أنعم عليهم بالفعل بفيض منه، لكنهم ليسوا من أصحابه المميزين والخواص، إلا إنهم يدّعون بإصرار أنهم التقوا به. يجب أن تسألهم: هل رأوه من قبل حتى يعرفوا وجهه ويتعرفوا عليه؟

إن أصحابه عجل الله فرجه وخاصة فئة رجال الغيب يذهبون دائماً بين الناس بأمر من حضرته ويلبون احتياجاتهم. وبهذه الطريقة، إذا التقى شخص ما بأحد الرجال الإلهيين الذي اختفى بعد تلبية حاجاته المادية أو الروحية، فلا ينبغي للشخص أن يعتقد أنه قد رأى الإمام المهدي عجل الله فرجه، بل ربما رأى أحد الصحابة الخواص للإمام المهدي عجل الله فرجه والذي أرسل بأمر منه.[٥]

وفقاً للمضامين السابقة، لا ينبغي اعتبار كل رعاية من إمام الزمان عجل الله فرجه لشخص ما وحل مشكلاته تشرفاً بلقاء إمام الزمان عجل الله فرجه. كما لا ينبغي للمرء أن يقبل أي ادعاء بالتشرف ببساطة ويؤيد كلامه.

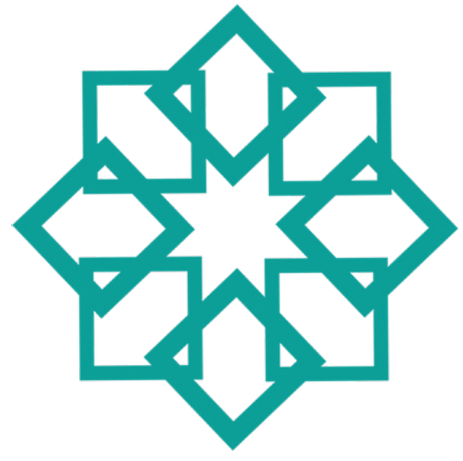

ج) أضرار إثارة موضوع التشرفات

نشهد اليوم أن مجموعة من الكتاب والمتحدثين وقادة المحافل والتجمعات الدينية، يحاولون جذب انتباه عامة الناس واهتمامهم بالمباحث المهدوية بدفعهم إلى نقل الأحلام والرؤى والحكايات الضعيفة وعديمة الأساس، متناسين فلسفة الانتظار الحقيقية ووظائفها الاجتماعية، فيقومون بإغلاق باب أي نوع من التعقل والتدبر في التعاليم المهدوية، جاعلين تصوراتهم السطحية للروايات معياراً لتحليل و دراسة ظاهرة الظهور.

إن المحاضرات والأعمال المكتوبة التي نشرتها هذه المجموعة تجعل جمهورهم من الشباب غير مدركين للمهمة الثقيلة التي تقع على عاتقهم أمام صاحب الأمر عجل الله فرجه والمسؤولية الكبيرة التي يتحملونها تجاه مجتمعهم وتجعلهم يفكرون في مجرد محاولة البحث عن الإمام الغائب في عزلة وإيجاد سبيل للتشرف بلقائه بواسطة الأدعية والتوسلات فحسب. ربما إذا لم يحقق هؤلاء الأشخاص أحلامهم ولم يجدوا طريقة لمقابلة إمامهم، فسيغدون محطمين ويائسين وسيبتعدون عن الثقافة المهدوية تماماً.

الخطر الآخر الذي تنطوي عليه هذه المحاضرات والأعمال هو أنها تجعل الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه يبدو وكأنه اعتقاد وهمي ممزوج بالخرافات لأولئك الذين لم يفهموا بعد حقائق الشيعة وعمق الفكر المهدوي.

وبسبب هذه الأضرار، حذر مراجع التقليد العظام وعلماء الحوزة الناس من التورط في هذه القضايا وقاموا بدعوة الجميع إلى إيلاء المزيد من الاهتمام لقضايا الإيمان وتعاليم الدين الصحيحة.

يقول آية الله فاضل لنكراني في هذا السياق:

يجب أن نؤمن جميعاً أن الله شاهد على أفعالنا. يجب أن نعلم أن أهم قضية يبحثون عنها هي القضايا الدينية والعملية، ولهذا السبب من الضروري أن نكون مجتهدين قدر الإمكان فيما يتعلق بقضايا الإسلام الحقيقية وتجنب الخرافات والكذب والأحلام والادعاءات التي لا أساس لها. دعونا نتجنب الأوهام ونعلم أن هذه الأشياء غير الواقعية تلطخ وجه الإسلام والشيعة وتفتح المجال أمام استهزاء الأعداء. علينا أن نتعلم الحقائق والتعاليم الحقيقية الواقعية التي يزخر بها ديننا.[٦]

إن كلام آية الله جوادي آملي في هذا السياق يمكن أن يكون شافياً؛ يقول سماحته:

يجب أن يكون لديكم باحثون ذوو تفكير عميق لفرز ما يدور حول الوجود المبارك للإمام المهدي عجل الله فرجه. على المدعين رؤيته أن يكفوا عن ذلك، لأن الناس يهتمون بالإمام المهدي عجل الله فرجه، فإذا ادعى أحدهم رؤيته وكان ظاهر الصلاح، فقد يتم قبوله، وهذا يقترن بمشاكل كثيرة.[٧]

كما اعتبر آية الله ناصري أنه من الضروري إنكار الادعاء

بالتشرف بلقاء إمام العصر عجل الله فرجه، معتبراً وجود عواقب غير المناسبة لإثارة موضوع التشرف بلقائه في المجتمع، ويقول:

إذا ادعى أحدهم التشرف بلقائه عجل الله فرجه، فمن الواجب الشرعي على جميع المسلمين أن ينكروه ويوقفوه عن مثل هذا الكلام. إن ما أصبح شائعاً في مجتمعنا اليوم، وهو أن أحداً ما بين الحين والآخر يدعي التشرف أو حتى النيابة، جعل عبء الواجب أثقل في هذا الصدد. هناك مجموعة خصبة الخيال وجماعة أخرى ممن استخدموا المفاهيم الدينية كوسيلة لشهرتهم يعملون اليوم على دعوة الناس لأنفسهم بدلاً من الدعوة للإمام المهدي عليه السلام وجذب قلوب الناس لأنفسهم بحجة التشرف وحتى التواصل المستمر.

للأسف، فإن عدداً من أولئك الذين يستمرون في قراءة أشياء معينة وبعد فترة يعانون من أوهام وتصورات غريبة، يقدمون مثل هذه الادعاءات أيضاً.

دون أن يكون هؤلاء تحت إشراف خبير ودون مراعاة موهبتهم وقدراتهم، يختارون قراءة الأذكار ويلتزمون بعدد معين منها، وفي النهاية يعانون من حالات غريبة مثل الذهان، ويجدون ادعاءات غريبة في خيالهم.

في بعض الأحيان يزعمون أنهم تشرفوا بلقاء الإمام المهدي عليه السلام، أو جبرائيل، أو دخول الجنة، ويمشون في عوالم الآخرة .. إلخ. والأخطر من ذلك أنهم ينقلون هذه الادعاءات للآخرين في مراحل عقلية صعبة، وبهذه الطريقة يظهرون أنهم مكلفون من الإمام المهدي عليه السلام للقيام ببعض الأعمال.

بصرف النظر عن هؤلاء، كان هناك دائماً مجموعة من التجار المحترفين في المجتمعات الإسلامية الذين جعلوا المفاهيم والمعتقدات الدينية للناس وسيلة لعملهم. من خلال استغلال القلوب البسيطة لبعض المؤمنين بأسس الشيعة، فقد أطلقوا على أنفسهم نواب الإمام المهدي عليه السلام واستفادوا بوضوح مادياً من معتقدات هؤلاء الناس. لهذا السبب، في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، من الواضح أنهم منعوا الناس من قبول كلامهم، ووصفوا كل من يدعي التشرف بلقاء إمام الزمان عجل الله فرجه بأنه كاذب ومخادع.

واستخلاصاً لما قيل، من الضروري لجميع المتحدثين والكتاب أن يركزوا جهودهم على مبدأ انتظار الفرج، وإبقاء الناس في الانتظار وتذكيرهم بواجباتهم.

د) محورية التشرف أو عدم محوريته

النقطة الأخرى المهمة في هذا السياق، هي: هل مسألة طلب لقاء إمام العصر عجل الله فرجه والتشرف بخدمته من القضايا المركزية في مناقشات المهدوية أم لا؟

بدراسة الروايات المهدوية، تبين أن الأهم من أي موضوع آخر في عصر الغيبة هو معرفة إمام العصر عليه السلام والانتظار والعمل بشروط الانتظار وأداء واجبات المنتظرين، كتفسير الروايات، حتى أن معرفة وقت الظهور ليست وثيقة الصلة بالموضوع والمهم أن يعرف الشيعة المنتظرون إمامهم بشكل صحيح ويؤدون واجباتهم جيداً قباله. وفي هذه الحالة سيكون مثل من أدرك وقت الظهور ورافق إمامه.

لتوضيح هذه المسألة، نأتي على ذكر بعض الروايات:

يقول أبو بصير:

قلت للإمام الصادق عليه السلام: **جُعِلتُ فَداكَ مَتى الفَرَجُ؟ فقال** عليه السلام: **«يا أَبابَصِيرٍ وَ أَنْتَ مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيا؟ مَنْ عَرَفَ هذَا الأَمْرَ فَقَدْ فَرَّجَ عَنْهُ لِانْتِظارِهِ.»**[٨]

كما أجاب الإمام الرضا عليه السلام على سؤال الحسن بن جهم حول وقت الفرج قائلاً:

«أَ وَ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ انْتِظارَ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ قُلْتُ لَا أَدْرِي إِلَّا أَنْ تُعَلِّمَنِي فَقَالَ نَعَمْ انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ.»[٩]

وبناءً على هذا الموقف، فقد تم التأكيد في العديد من الروايات على أنه لا يهم المنتظرين الحقيقيين ما إذا كانوا سيدركون الظهور أم لا؛ لأنهم في خدمة إمام زمانهم حتى في عصر الغيبة، كما نقرأ في رواية الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ ماتَ مِنْكُمْ وَ هُوَ مُنْتَظِرٌ لِهذَا الأَمْرِ كَمَنْ هُوَ مَعَ القائِمِ عجل الله فرجه فِي فُسْطاطِهِ.... »[١٠]

إذا كان الإنسان يعيش بإيمان في عصر الغيبة، ويتجنب الشر والقبائح، وينمي الفضائل الأخلاقية في نفسه، ويقوم بالواجبات والمسؤوليات المترتبة عليه في مسرح الحياة الفردية والاجتماعية، وينتظر ظهور إمامه، فإن الله سبحانه وتعالى سينعم عليه بالراحة والفرج الحقيقيين، وهو الاهتداء إلى طريق الهدى والخلاص والوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة. في هذه الحالة، تقدم الظهور وتأخره لن يصنع له أي فرق، وسيجد الإمام الذي ينتظره على أي حال.

لذلك يمكن القول أنه بالنسبة للمنتظرين الحقيقيين، فإن الأهم من أي موضوع آخر هو الوفاء بالواجب تجاه إمام الزمان عجل الله فرجه، ومسألة لقائه هي المكانة التالية بالنسبة له.

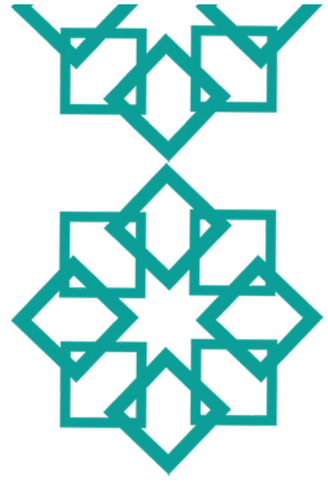

هـ) أن نَرى أو نُرى، أيهما؟

وبخصوص موضوع لقاء إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، تجدر الإشارة إلى أن رؤية إمام الزمان عليه السلام لا يمكن أن تكون فضيلة في حد ذاتها؛ بل إن الفضيلة هي بلوغ المستوى الذي يؤهل الفرد لمعرفة الإمام والتمتع بالبصيرة تجاه مكانته في الوجود.

يقول سماحة آية الله جوادي آملي في هذا الصدد:

في زمن النبي صلى الله عليه وآله الذي كان ذا منزلة أعلى من جميع الأئمة – لم يكن عدد الناس الذين شاهدوا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قليلاً، لكن الله تعالى قال عنهم في القرآن: «**وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ**؛ »[11] إنهم أهل النظر لكنهم ليسوا أهل البصيرة. إنه لعمل جدير أن نسعى لكي يرانا إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف.

وجاء في القرآن الكريم: الله البصير بكل شيء لا ينظر إليهم يوم القيامة: «**وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ**»[12] لا ينظر إليهم تلك النظرة التشريفية. إذا كنا نسير في الاتجاه الصحيح حقاً، فسوف يرانا عليه السلام، ورؤيته لنا شرف، وإلا فإن الرؤية المادية ليست بتلك الفعالية؛ حيث رأى الكثير من الناس النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام، لكنهم كانوا بلا بصيرة. الرؤية التشريفية مهمة، وليس الشكلية. ولكن أحياناً تحدث الرؤية الشكلية، ويرى الشخص وجود الإمام عجل الله فرجه الشريف عن قرب وينهل من فيضه، وتُحل مشكلته أيضاً ببركة الإمام عجل الله فرجه الشريف من جانب الله تعالى، لكن المهم هو الرؤية المقترنة بالبصيرة.

يقول آية الله ناصري عن اهتمام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بلقاء شيعته: حضرة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف فياض بالعرض وإذا توفرت شروط التشرف بلقائه لدى شخص ما فلن يبخل عليه. بصرف النظر عن ذلك، لديه اهتمام خاص بشيعته، وبالتالي فهم يسعون لمقابلة من يواليه، فقد رأيناه أن واجب حضرته أثناء غيابه وكذلك ظهوره هو إيصال الكائنات إلى الكمال الذي تستحقه، وإذا اجتاز كائن ما مستويات الكمال واحتاج الانتقال إلى المستوى التالي إلى التشرف بلقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف فإن واجبه يقتضي قبوله وهدايته في وادي الكمال.

إن اهتمام حضرته بالشيعة الذين يسيرون على طريق الكمال كبير لدرجة أنه يسعى هو نفسه عجل الله فرجه الشريف إلى مقابلتهم؛ لأنه لا شيء يمكن أن يجعل حضرته سعيداً مثل تكامل البشر.[13]

ويقول رجل الدين التقي، حجة الإسلام والمسلمين، الشيخ محمد تقي بهلول رحمة الله عليه أيضاً رداً على هذا السؤال: متى يمكن التشرف بحضور إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف أرواحنا فداه؟:

كن تقياً عندما يكون هناك سنخية بينك وبينه عجل الله فرجه الشريف.ثم يقول:

ليس من المهم أن نرى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف المهم أنه يرانا، فكثير من الناس رأوا علياً عليه السلام أيضاً، لكنهم أصبحوا أعداءه. إذا فعلنا شيئاً يلفت نظره، فإن الأمر يستحق ذلك.[14]

على أمل أنه من الآن فصاعداً، سنتحدث جميعاً بعناية أكبر وشغف أعمق عن اللقاء والتشرفات وسيتعامل شعبنا مع الكتب والمنشورات التي تتعامل مع الخطة المتطرفة لهذه القضية بمزيد من الحساسية.

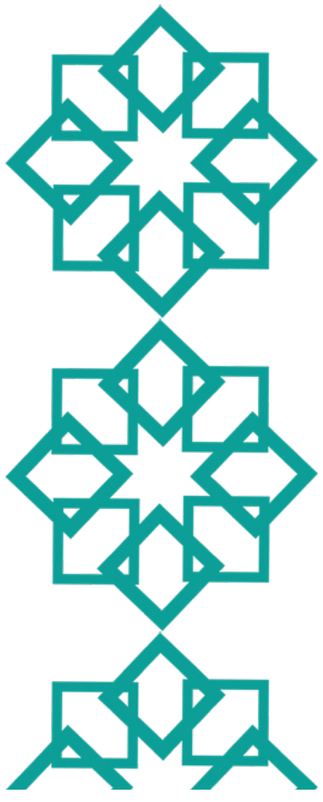

الهوامش:

١. الطوسي، «الغيبة»، ص٣٩٥.
٢. ماء الحياة؛ مجموعة محاضرات آية الله ناصري حول إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، إعداد: مجيد هادي زاده، ط٤: قم، خَلْق، ٢٠٠٧، صص٣٤٦ و ٣٤٧.
٣. ماء الحياة؛ مجموعة محاضرات آية الله ناصري حول إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، إعداد: مجيد هادي زاده، ط٤: قم، خَلْق، ٢٠٠٧، ص٣٥٠.
٤. «نحن هم الغائبون» نص محاضرة، موعود، السنة ٩، العدد ٤٨، نوفمبر ٢٠٠٤م.
٥. ماء الحياة؛ مجموعة محاضرات آية الله ناصري حول إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، إعداد: مجيد هادي زاده، ط٤: قم، خَلْق، ٢٠٠٧، ص.٣٥٩.
٦. أفق حوزه: مجلة الأخبار الأسبوعية عن الحوزات العلمية، السنة الرابعة، العدد ٤٤، ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥.
٧. «نحن هم الغائبون» نص محاضرة، موعود، السنة ٩، العدد ٤٨، نوفمبر ٢٠٠٤م.
٨. الصدوق، «الكافي»، ج١، ص٣٧١، ح٣.
٩. الطوسي، «الغيبة»، ص٤٥٩.
١٠. المجلسي، «بحار الأنوار»، ج٥٢، ص١٢٦، ح١٨.
١١. سورة الأعراف، آية ١٩٨.
١٢. سورة آل عمران، آية ٧٧.
١٣. ماء الحياة، ص .٣٥٥.
١٤. عباس موسوى مطلق، الملكوتي المتواضع: سيرة الحاج الشيخ محمدتقي بهلول=، ط١: قم، هنارس، ١٤٢٥ هـ . ق، ص٩٦.

المصدر:معرفه الامام الزمان وواجب المنتظرين، شفيعي سروستاني، موعود عصر، باب الاول، قصل السادس، صص١٣٧-١٥٠.

الغائية والصيرورة في الفكر الديني

إسماعيل شفيعي سروستاني

إن الصيرورة تعني في اللغة، التحول والانتقال من حال إلى حال. وفي نظام الخلق، فان أي كائن لم يُخلق عبثا؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

«أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ»[1]

نقل جعفر بن محمّد بن عمارة عن أبيه قال:

سألت الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت له: لم خلق الله الخلق؟ فقال عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد.»[2]

وفي رواية أخرى عن مسعدة بن زياد قال:

قال رجل لجعفر بن محمّد: يا أبا عبد الله إنّا خلقنا للعجب؟ قال عليه السلام

«وما ذاك لله أنت؟»

قال: **خلقنا للفناء؟** فقال عليه السلام:

«مه يا ابن أخ خلقنا للبقاء وكيف تفنى جنّة لا تبيد ونار لا تخمد ولكن قل إنّما نتحرّك من دار إلى دار.»[3]

ويبدو جليا أن الرجعة إلى الله المتعال **«إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون»**[4] وتجربة جنة الخلد التي هي عين الطهر والكمال المادي والمعنوي، لا يتحققان من دون اكتساب الكمالات اللازمة طيلة الحياة على الأرض؛ وعليه فان أي كائن عاقل ومخير (الجنّ والإنس) لا بد له من نيل هذه الكمالات والارتقاء من المقامات الدنيا إلى المقامات والمنازل العليا.

إن هذا الارتقاء والرفعة، يؤشران إلى التحول والتغير في العالم الباطن قبل أن يؤشران إلى الرقي والتغير في الصورة الظاهرة للحياة الآدمية.

إن النظرة إلى الآخرة، والتفكير بالمعاد، يعد واحدا من أهم المفاهيم في الفكر الديني والنظرة العالمية الإلهية. وفي هذه الرؤية، فان الموت ليس نهاية الطريق؛ بل بداية الحياة الأصيلة، ومنذ أن تطأ قدما الانسان وادي التفكير بالموت ومعرفة الموت، فانه يبدأ الحياة الانسانية والحقيقية. وبالأحرى، فان الانسان في هذا الحقل

النظري، قد خلق من أجل الموت، وطبعا الموت لا يعني هنا الفناء والعدم.

إن التفكير بالموت، هو صاعقة تكسر الغفلة وتؤدي إلى أن يسترشد الانسان بها للخروج من قشرة الدنيا والانتقال إلى لبها، أي الحياة الخالدة والأبدية.

إن من غرقوا في الحياة في هذا العالم (العالم الفاني)، يعتبرون الموت، رديفا للفناء والعدم، ويتهربون منه؛ بينما مدرسة الأديان التوحيدية، ترى أن الآدمي يتعلم أنه يجب أن يضع قدميه منذ اللحظة الأولى من الولادة، في جادة الموت، وأنه في كل لحظة في حالة الموت والرحيل إلى العالم الباقي. العالم الباقي الذي هو في مقابل العالم الفاني، ينطوي على كافة عناصر الوجود والبقاء الدائم وانعدام الموت والزوال.

وقد تناول الشاعر **مولانا**، في الدفتر السادس من «المثنوي المعنوي» هذا المعنى جيدا ويقول:

لقد صدق القول أمير البشر
بان كل من مر على هذه الدنيا
لا يحمل ألم وحسرة وغبن الموت
بل ثمة مائة حسرة للقوة
لم لم أجعل الموت قبلة
ومخزنا لكل دولة وأي ورقة
لقد اتخذت القبلة خطأ طيلة العمر بسبب الحوَل
تلك الأوهام التي ضاعت في الأجل
ولم يك تحسر هؤلاء الموتى من الموت
بل لاننا توقفنا داخل تلك الأدوار والنقوش

إن الركود والتوقف في ميدان الثقافة والمعارف التوحيدية، لا معنى له. إن مجمل الكائنات من سكان عالم ما سوى الله (عالم الإمكان)، هم في حالة سير وسفر طويل إلى الآخر بما يتناسب مع وسعة وجودهم، أي الفناء في الله. وما يؤتى في هذا المجال على ذكر الغاية، هو الحركة الهادفة للكائنات صوب الوجهة المحددة التي تم تعريفها.

وعندما يجري الحديث عن الغاية والوجهة، فان هذا ينطوي في حد ذاته على كل معنى الحركة والسير وبالتالي النقطة النهائية والوصول.

إن موضوع الموت والمعاد والجنة والجحيم وإرسال الرسل وحتى المهدوية وفكرة الموعود، والذي يتحدث عن النهاية والصيرورة وتجربة الحياة الطيبة بعد العيش في هذا العالم، يمكن تحديده نسبة إلى الغائية؛ بحيث يقول الله تعالى:

«هُوَ الَّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون»[5]

ويُستشف من هذه الآية وسائر الآيات المماثلة بان الجميع في حالة سير وسفر نحو غاية جلية؛ بل على الرغم من مطلب المشركين والمنكرين، فان دين الحق سيظهر للجميع في فصل خاص من الحياة على الأرض، وسيكون ثمة عالم ملئ بالطهر، أمام البشرية.

وهذا الأمر هو حقيقة مقدرة وسنة ثابتة لا تتغير، من أن الأرض وبعد التداول المستمر، سيرثنا الصالحون في نهاية المطاف:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصَّالِحُون»[6]

وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى جعل الأرض بيد الصالحين والمستضعفين بانه «إرادته الخاصة» حيث يقول:

«ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِين»[7]

وهذه الأمر يتناسب بالتمام والكمال مع فطرة البحث عن الكمال لدى الانسان. وبالأحرى، فان الانسان خلق على هذا المدار والمنهج، وهو يسير في خارج ظرف الزمان والمكان، دائما للذهاب والبحث ويطلب دائما الموت والحيوات المتتالية، إلى أن يخلع عنه لباس الحياة في هذا العالم، ويرتدي لباس الحياة الخالدة.

إن مهمة الأنبياء الإلهيين والكتب السماوية تتمثل في ردع ومراقبة وهداية هذا الكائن لكي لا يغرق في خضم الحياة الدنيوية وتقلباتها في الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ويضيع الوجهة والغاية، ويخسر كل ما وهبه الله إياه.

ويأتي الكلام الوحياني لله المتعال عن هذا التحول والتغير بعنوان «الصيرورة».

وأن تم انتزاع النزعة للحركة والتغير الذاتي التي جبل الانسان عليها، فانه سيموت في ركود وانفعال تامين.

إن تعاقب وتداول الثقافات والحضارات وباطن جميع الحروب والصراعات وروح جميع الأعمال الفنية والعاطفية وروح جميع عبادات العُباد والزهاد وسير وسلوك العارفين، يعود إلى هذا الأمر الذاتي.

بعبارة أخرى، فان الانسان أكان يدري أم لا يدري، ومن منطلق الرغبة الباطنية، يبحث عن وضع أفضل وكمال أسمى، لكنه قد يخطأ المسار تارة على إثر الجهل أو الوساوس الشيطانية، ويسير على الطريق الخطأ الذي لا يوصله إلى الغاية المرجوة.

إن من يسير إلى الله، ينال لقاء الله الرحمن الرحيم، ومن يدير ظهره في حركة معاكسة، على الحق، فانه ينال في مسار معكوس لقاء «أشد المعاقبين.[8]

وعلى أي حال، فان الصيرورة هي تغير تدريجي يناله كائن في ظل العناية والإرشاد الربانيين، وينهض مرتبة بمرتبة. وبالنسبة للصيرورة، ذكر لها أيضا معنى الإنتقال من حال إلى حال:

التنقل من حالٍ إلى حال.[9]

ويكمن كل معنى التحول والتغير في مفردة الصيرورة.
وفي دعاء نهاية السنة والانتقال إلى السنة الجديدة، يسأل المؤمنون، الباري عز وجل، التحول في حالهم وينشدونه تحويل الحال إلى أحس الحال حين يقولون:
«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَ الْأَبْصَارِ يَا مُدَبِّرَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ يَا مُحَوِّلَ الْحَوْلِ وَ الْأَحْوَالِ حَوِّلْ حَالَنَا إِلَى أَحْسَنِ الْحَالِ»
ويعتبر المؤمنون، الله تعالى، بانه محول السنة والطبيعة وحالات الانسان، ويرون أن أمر التحول هو شأن خاص بالله المتعال. وعليه، فهم يسألونه أن يحول حالهم إلى أحسن الحال.
إن أحسن الحال بالنسبة للجنّ والإنس، هو الوصول إلى المراتب الكمالية العليا، حسب السعة الوجودية.
إن جميع الكائنات، تطلب من دون أن تظهر، هذا التحول وطي المراتب حتى بلوغ أعلاها، وأن الله تعالى، يمهد السبيل والطريق للتحول والصيرورة ويوفر أسبابهما.
إن الكائنات السفلى وعديمة الإرادة، كالنباتات والحيوانات، تجرب هذه الصيرورة عن طريق الجذب والانصهار في الكائنات الأعلى منها، قبل أن تُباد وتزول.
وتجرب النباتات، المرتبة الأعلى من خلال الانصهار داخل جسم كائن أعلى منها أي الحيوانات، والحيوانات من خلال الجذب والانصهار في الجسد الانساني.
وبالأحرى، ومثلما أن الوصول إلى المقام النباتي، هو أمنية الجمادات ونيل المقام الحيواني، أمنية النباتات، فان بلوغ المقام الآدمي والبشري، هو مطلب وأمنية جميع الحيوانات (تكويناً) ومحجتهم، وأن الانسان، وبعد سلوك جميع المراتب وفي صيرورة تامة، حين يبلغ المقام الانساني السامي، يكون قد أتم سيره وينال كماله حسب وسعة وجوده.
ولذلك نرى أن مقام الانسان الكامل، عُرّف في ولي الله الأعظمﷺ وقطب وقبلة عالم الإمكان. وفي الحقيقة، فان الانسان الكامل هو ضالة الانسان الناقص وطالب الكمال، وأن طلب الكمال هذا، لا يتعلق بالجسد الحيواني، بل بالروح السامية المستقرة في الجسد الآدمي.
وحسبما يقول مولانا في «المثنوي المعنوي»، فان سير وسفر الانسان يبدآن في الدرجة السفلى من الجماد ويستمران حتى لقاء الله والفناء في الله.
مت من الجماد وتحولت إلى اسم
ومت من الاسم والظاهر وتحولت إلى حيوان
ومت من الحيوان وأصبحت آدميا
إذن لم أخش النقصان إن مت
وحملة أخرى، سأموت كبشر
لكي أصبح من الملائك
ويجب أن أبحث وارتقى من موقع الملك
كلّ شيء هالك الّا وجهه
وأصبح ضحية مرة أخرى للملائك
وأصبح ما لم يبدر في الوهم
لذلك أصبح من العدم كالأرجوان
وأقول إنا إليه راجعون
وبئسا للانسان الذي يسلك مسارا عكسيا، فيسير في الدركات عوضا عن طي مدارج ومنازل الصيرورة السامية، ويتنزل من المقام الانساني بحيث يقال في وصفه:
«وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ»[10]

الهوامش:
١. سورة المؤمنون، الآية ١١٥.
٢. ابن بابويه، محمّد بن علي، «علل الشرائع»، ج ١، ص ٩.
٣. نفس المصدر، ج ١، ص ١١.
٤. سورة البقرة، الآية ١٥٦.
٥. سورة التوبة، الآية ٣٣.
٦. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
٧. سورة القصص، الآية ٥.
٨. جوادي آملي، عبدالله، «صورة وسيرة الإنسان في القرآن»، أسوه للنشر، ص ١٠٠.
٩. راغب إصفهاني، حسين بن محمّد، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ٤٩٩.
١٠. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «اليوتوبيا والديستوبيا، والدولة المهدوية الكريمة، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.، صص ١٣٤-١٣٩.

الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف والنبيّ يوسف عليه السلام
القسم الثاني

«وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْرا وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»،[1] إذن تفاعل ولي الله الموعود في تلك الحقبة أن يجرى عليه ما يجرى على البقيّة حتّى من دخول السجن، مع أنَّ ولي الله موعود بالظفر والتمكين في الأرض تصل به حياته إلى أن يقبع في أرض السجن، لكن هذا لا ينافي تدبير الله عز وجل، بل هذا يصبُّ في مسلسل تدبير الله النافذ الغالب على أمره، فهذه إذن محطّات شاهدة تدلّل على أنَّ ولي الله في غيبته وخفائه لا ينافي وجوده في مسرح الحياة وتفاعله مع مجريات الحياة.
بعد ذلك أنظر كيف تجرى الأحداث، **«نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»**، أنظر بثّه للعلوم أيضا: **«قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ»**. الآن يطالعنا القرآن الكريم أيضا فيما سيجرى للملك، **«وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ»**،[2] إذن أزمة اقتصادية ستحلُّ بالبشرية يُراد لها تدبير نافذ، يُراد لها نظام اقتصادى صارم، يُراد لها نوع من البرمجة والتقشف الاقتصادى كي يواجهوا الأزمة الاقتصادية الحادّة التى ستعصف بهم، من الذى سينجى البشرية من هذه الأزمة؟ من الذى أعدَّه الله عز وجل للحيلولة دون وقوع هذه الأزمة التى ستجتاح البلاد؟
الجواب: النبى يوسف عليه السلام هو الذى ينقذ البشرية فى منعطفات حادّة يمرُّ بها النظام البشرى وهو خفى عنهم، وهم لا يشعرون به، وهم لا يشعرون بأنَّ هذا التدبير الصالح إنَّما انبثق من هذا النبى، من هذا الموعود بظهوره وبتمكينه.
بعد ذلك تطالعنا الآيات الكريمة: **«قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ»**،[3] أنظر إلى تدبير البشر الذى لم يكن بالمستوى المطلوب أمام هذه الأزمة التى تواجههم لولا وجود ولى الله الذى يدبّر الأمور وهو فى حالة خفاء. وهذا هو الذى نعتقده بالإمام المهدىعجل الله تعالى فرجه الشريف فى غيبته، أل وهى غيبة خفاء هوية، لا مزايلة عن ساحة الحدث كما مرَّ، فهو يدبّر وينجى البشرية فى حقبة تمتلئ بالأزمات الحادّة التى تعصف بها.
كما حصل الحال كذلك فى الإمام المهدىعجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد ذكر **الذهبى** فى «تاريخ الإسلام» فى ترجمة الإمام الحسن العسكرى عليه السلام ولادة الإمام المهدى محمّد بن الحسنعجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكنَّه عقَّب بعد ذلك وقال: إنَّه عُدم، أو كأنَّما صفَّته الدولة العبّاسية، ولكن الحقيقة ليست كذلك، بل هو محروس بضمانة وحراسة إلهية كما حرس الله النبى يوسف عليه السلام وحرس النبى موسى عليه السلام فى الظاهرة السابقة التى ذكرها لنا القرآن الكريم، وهو الموعود المبشَّر به بإظهار الدين على أرجاء الكرة الأرضية كافّة، وهو من نسل الرسولﷺ ومن ذرّية فاطمة عليها السلام فى نصّ الفريقين المتواتر.
وتواصل الآيات سرد تعاطى النبى يوسف عليه السلام التفاعل مع الحياة العامّة، وأبرز ذلك ما تُبيّنه لنا السورة نفسها أنَّه فى تلك الأزمة العصيبة التى عصفت بمصر وكانت هى مركزا لتموين ما حواليها من البلدان فى التموين الغذائى والأزمة الاقتصادية الحادّة التى مرَّت به، كان من النبى يوسف حينذاك ذلك التدبير المهمّ المبنى على أُسس علمية بتوسّط ما للنبىّ يوسف من علم لدنّى، حيث ذكر برنامجا مهمّا لتفاديهم تلك الأزمة، فقال: **«قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبا فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ»**،[4] لاحظ البرنامج الوقائى والتدبير الاقتصادى، ثم كيفية الحفاظ على بقاء التموين الغذائى، **«فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ»**، فلا بدَّ أن تكون هناك سياسة تقشّف، برمجة وتدبير واضح لتفادى الأزمة المحدقة الحادّة التى سيواجهها المجتمع البشرى آنذاك **«ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلا مِّمَّا تُحْصِنُونَ»**.[5]

إنَ للأولياء الحجج المبعوثين لإصلاح البشرية علما قديما، وعلوم الأئمّة المنصوبين من قبل الله تعالى ليست علوما نسبية، وليست وليدة التجربة لتتأثَّر حينئذٍ زيادة ونقصانا أو صوابا وخطئا أو تردّدا وحيرة بالمعلومات المكتسبة التى قد تكون محيطة وقد لا تكون محيطة فى زوايا عديدة، بل هو علم لدنّى بما يؤتيهم الله عز وجل من ذلک العلم، فيه تدبير لا يخطئ الواقع.

الآن البشرية تتطلَّع إلى نظام اقتصادى عادل، بعد أن طُرحت عدّة نُظم، كالنظام الشيوعى، والنظام الرأسمالى، فوجدت أنَّها لا تتكفّل ولا توجِد العدالة، فى النظام الاقتصادى، أو النظام القضائى، أو النظام الاجتماعى، أو النظام السياسى، بل رأت أنَّ غاية ما وصلت إليه تلک النظم إنَّما هو إلى حرّية نسبية أو عدالة نسبية أو حقوق نسبية، أمَّا الحقوق الكاملة والعدالة الكاملة والحرّية الكاملة – بالمعنى الصحيح للحرّية – فإلى الآن تتطلَّع البشرية إلى ذلک.

البشرية فى أزمة تنظير فضلا عن مرحلة التطبيق، وتلک إذن مرحلة دهياء مدلهمة فيها ما فيها من عدم الأمانة وعدم الكفاءة، بينما النظم الإلهية والتدبير الإلهى لمن يبعثهم الله أولياء تكفل حماية البشرية عمَّا ينتابها من عواصف، وهذا معنى ضرورة لزوم الإمامة بعد النبوّة، نعم إنَه لا بدَّ من تدبير إلهى للبشر يكفل لهم الحياة ويحوطهم عن الوقوع فى الهاوية والأخطار وما يحيط بهم من مآزق وأزمات ومنعطفات حادّة جدًا.

وفى الحقيقة هذا معنى أنَّ المهدى عجل الله فرجه عندما يظهر «**يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا**»، وكما أنبأ بذلک القرآن الكريم فى سورة الحشر: «**مَّا أَفَاء اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ**»، تدبيرها بيد الله ثم بعد ذلک ولاية ذوى القربى من أهل البيت عليهم السلام، «**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى**»، يستعرض القرآن الكريم مصرف هذه الثروات فى الأرض بتدبير الله والرسول صلى الله عليه وآله وذوى القربى أوّل، ثم يقول تعالى: «**وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**»،[6] وهى الطبقات المحرومة، فبسط الثروات بشكل عادل على الطبقات المحرومة إنَّما يتمّ بتدبير الله وإدارة رسوله ثم ذوى القربى.

وفى قصّة يوسف نشاهد هذا التدبير الاقتصادى الذى يؤمّن البشرية من الفساد ومن الظلم، فى الحقيقة إنَ هناک نارين نار الفساد ونار الظلم، الفساد قد يكون عن سبب الجهل فى التنظيم، والجهل بالموضوع أو التطبيق، أمَّا صاحب العلم اللدنّى الوليّ من أولياء الله الذى يُبعث حجّة من قِبَل الله عز وجل بما يؤتى من علم لدنّى يتفادى ذلک الخطر، ولا يستدعى أزمة فى التنظيم ولا أزمة فى التطبيق ولا فى العلم والإحاطة بالبيئة الموضوعية وتداعياتها، أنظر ماذا يقول النبى يوسف كما فى الآية الكريمة: «**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبا فَما حَصَدْتُمْ**»، أى السبع سنين الأولى، ثم يعطى برنامجا للسبع سنين الثانية، وبرنامجا للسنة الخامسة عشرة، بملاحظة تداعيات كلّ تدبير، وهذه من خصائص التدبير الإلهى، وليس صلاحية الحكم فى جنب التشريع. التشريع فقط لله، بل صلاحية الحكم فى كلّ مدياته السياسية والنظمية والتدبيرية بيد الله عز وجل، وهذا هو المفهوم الذى تتبناه المدرسة الوحيدة مدرسة أهل البيت، إذ لديها لون من التوحيد لا يُلمس بهذه الكثافة وبهذه الشمولية وبهذا التركيز فى غيرها كما هو فيها، التوحيد فى الحكم أيضا فلا يقصرون على التشريع بأن يقال: إنَ التشريع لله وأمَّا التطبيق والتدبير فهو بيد البشر، أى إنَ يد الله معزولة عن ذلک، حاشا لله والعياذ بالله أن تقصر الربّانية عن التدبير، بل التدبير ليس فى جانبه الكونى والقضاء والقدر فقط، بل حتَّى فى جانبه التشريعى، وفى الدرجة الأولى أنَّ الحكم لله بما ينزل على أوليائه من أوامر.

نعم هذا موقف ونقطة مهمّة فى ظاهرة النبى يوسف يستعرضها لنا القرآن الكريم فى سورة يوسف، من أنَّ ولى الله والإمام على البشر الخليفة لله فى الأرض «**إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَة**»،[7] ولم يُعبّر القرآن الكريم بالقول: إنى جاعل فى الأرض نبيّا، أو إنى جاعل فى الأرض رسولا، أو إنى جاعل آدم خليفة، بل قال ما له عمومية وشمولية لكلّ الأزمان من بدء خليقة البشر إلى منتهاها: «**إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَة**»، الخليفة استخلاف قدرة وتدبير وإمامة، وهو عنوان من عناوين الإمامة، فالإمامة سُنّة دائمة من الله تعالى، سواء أكان الإمام نبيّا أم رسولا، كما فى سنن الرسل فهو نبىّ ورسول وإمام، وإمام الأئمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما فى إبراهيم فهو نبىّ ورسول وإمام، قال تعالى: «**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَاما قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى**»،[8] وكذلک فى إسحاق ويعقوب: «**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**»،[9] فالإمام موقع ومنصب قد يشغله ويحتلّه النبى والإمام، وقد يقوم به غير النبى والرسول، لكن هذا الموقع لا يمكن أن يكون شاغرا، لا يمكن أن يكون غير مُفعَّل فى زمن الأزمان، وهذه نكته مهمّة فى حياة الرسل، «**ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَا**»،[10] يعنى متعاضدة يعضد بعضها البعض، وبينها أزمنة وفترات، وبعد رسول الله «**لا نبىّ بعدى**»،[11] أى لا رسول بعدى، ولم يقل سيّد الرسل: لا إمام بعدى، ولم يقل: لا خليفة لله بعدى، بل قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ بعده «**اثنا عشر خليفة –أو أميرا – كلّهم من قريش**»، وفى بعض الروايات: «**من هذا البطن بنى هاشم**»، والمقصود هنا أنَّ ما تقدَّم من الآيات أنَّ النبى يوسف الموعود بكونه المصلح والمبشّر بالتمكين فى الأرض، يزاول دوره فى إنقاذ البشرية وإصلاح المجتمع البشرى قبل ظهوره، وقبل وعى الناس ومعرفتهم وشعورهم بهويته، وقبل إعلان شخصيته، لكنَّه موجود فى ساحة الحدث، موجود فى مركز تدبير الأمور، ينتشل البشرية من تلک الأزمات، ويرتفع بها إلى قلل الكمال من دون

أن يشعروا بأنَّ هذا التدبير من خليفة الله تعالى، هذا التدبير من ولى الله وحجّته، هذا التدبير من الموعود المبشّر به بأنَّه رأى «**أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**»،[12] نعم مبشّر بأنَّه يظهر ويمكّن فى الأرض، لكن مع ذلک لم يشعر به ذووه ولم يشعر به إخوته ولم يشعر به النظام الذى كان سائدا، لكن مع ذلک هو يقوم بدوره.

إذن القيام بالدور الحساس المصيرى من قِبَل خليفة الله، من قِبَل الإمام الذى يستخلف فى تدبير الأمور، على أنَّه خليفة الله، وقيام الإمام قيام من هو غائب فى هويته وليس غائبا فى وجوده، وحضوره، وتدبيره، وتصدّيه للأمور، إذ أنَّ قيامه بهذا الدور لا يستلزم شعور البشر بهويته إذ أنَّهم كانوا يرونه ولا يعرفونه، يدبّر لهم، يتعاطى معهم، يؤثّر فى مصير البشرية، يحفظها من المنزلقات من دون أن تشعر البشرية به، ومن دون أن تنسب البشرية هذا الإنجاز الإصلاحى لولى الله ولخليفة الله، ربَّما نعرفه بأسماء أخرى ولا نعرفه باسم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل مثلا، المهمّ أنَّه أخذ يد البشرية عن الوقوع فى مجاعات، أو الوقوع فى الموت، أو الوقوع فى قطع النسل البشرى والأزمات الكثيرة، وربَّما يتفشّى نتيجة لذلک الفساد والقتل وعواصف ومفاسد تفتّ بالنظام الاجتماعى والسياسى والأسرى وكثير من تداعياته، لكن بعد أن قام بهذا الدور المصيرى فى تلک الحلقات المركزية فى النظام الاجتماعى السياسى، وكما فى النبى موسى الذى قام بأدوار كثيرة من ربط الأمل والجأش على قلوب بنى إسرائيل دون أن يشعروا به أنَّه موسى قبل ظهوره، وكان على صلة بأخيه هارون، بل ولم يشعروا حتَّى بنبوّة هارون.

فالسؤال القائل: أىّ معنى للإمام عندما يكون غائبا نابع عن فهم مغلوط للغيبة والغياب على أنَّه بمعنى مقابلٍ للحضور وليس عدم حضور، الغيبة عدم ظهور مع كون الحضور فعليا، يقوم بكلّ حيوية بالمسؤولية الإلهية الخطيرة فى منعطفات المسير البشرية، ينقذها وينتشلها من السقوط إلى الهاوية، وهذا إذن مقطع ثمين جدًا فى ظاهرة النبى يوسف عليه السلام، وهو أنَّه غاب وخفيت هويته ولم يخفَ وجوده، ولم تعدم البشرية حضوره وخيره وتدبيره وما شابه ذلک، وهذه نكتة مهمّة جدًا بالغة العبرة يسطّرها لنا القرآن الكريم.

فإذا كانت عندكم أسئلة عقائدية اقرؤوها من هذه الإجابات الموجودة فى سورة يوسف، ولا تمرّوا عليها مرور عبور غفلة، «**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**»،[13] «**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**»،[14] أنظر كيف يحث القرآن على التدبر، استنطق القرآن الكريم لتلتفت إلى تلک الإجابات على أسئلتک، فهو يجيبنا بأنَّ خليفة الله وولى الله غائب غيبة هوية وعدم شعور، لا غيبة وجود، نعم يزاول تمام دوره فى عصب النظام البشرى، ولولاه لفُصِمَ وفُصِم، يعنى يقوم به لكن من دون أن يُعزى هذا الإصلاح والتدبير له.

الهوامش:

١. سورة يوسف، الآية ٣٦.
٢. سورة يوسف، الآية ٤٣.
٣. سورة يوسف، الآية ٤٤.
٤. سورة يوسف، الآية ٤٧.
٥. سورة يوسف، الآية ٤٨.
٦. سورة الحشر، الآية ٧.
٧. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٨. سورة البقرة، الآية ١٢٤.
٩. سورة السجدة، الآية ٢٤.
١٠. سورة المؤمنون، الآية ٤٤.
١١. الشيخ الصدوق، «كمال الدين»، ص ٢٧٨، باب ٢٤، ح ٢٥؛ «الصحيح للمسلم»، ج ٧، ص ١٢٠.
١٢. سورة يوسف، الآية ٤.
١٣. سورة القمر، الآية ١٧.
١٤. سورة النساء، الآية ٨٢.

المصدر: الشبكة العرفان؛ www.erfan.ir

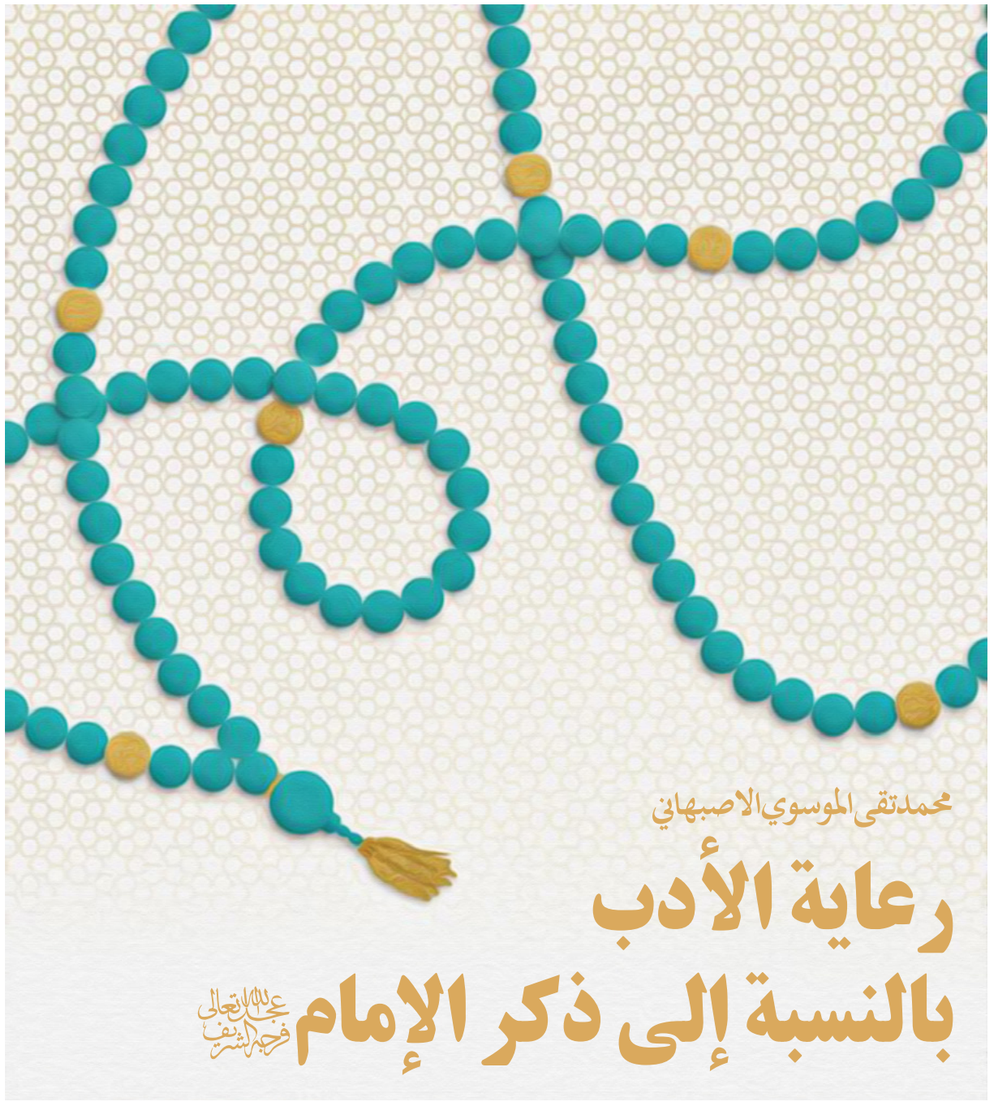

رعاية الأدب بالنسبة إلى ذكره، بأن لا يذكره المؤمن إلا بألقابه الشريفة المباركة، مثل الحجة، و القائم، و المهدي، و صاحب الأمر، و صاحب الزمان، و غيرها، و ترك التصريح باسمه الشريف الأصلي، و هو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله و اختلف أصحابنا – رحمهم الله تعالى – في حكم تسمية مولانا المهدي عليه السلام باسمه الأصلي: فمنهم من جوزه مطلقا إلا في حال **التقية**، كالمحدث **العاملي** في «الوسائل».[1]

و منهم من **منعه مطلقا**، و هو ظاهر المحكي عن الشيخين الأقدمين: **المفيد** و **الطبرسي** رحمهما الله.[2]

و منهم من قال بال**حرمة مطلقا إلا في الأدعية الواردة** عن المعصومين عليهم السلام و هو **إسماعيل بن أحمد العلوي العقيلي الطبرسي** رحمه الله في كفاية الموحدين.[3]

و منهم من جوزه على **كراهة**، كالشيخ **المحقق الأنصاري**؛

و منهم من خص **الحرمة بذكره في المحافل و المجامع** دون غيرها، كالسيد **المحقق الداماد**، و العالم **المدقق النوري**.[4]

و منهم من خص **الحرمة بزمان الغيبة الصغرى** دون غيره، و لا أعرف القائل بهذا القول، إلا أن الظاهر من كلام **الفاضل المجلسي** في «البحار»[5] وجود قائل له، و الله العالم.

و يمكن إرجاع هذا القول إلى القول الأول لأجل شدة التقية في زمان الغيبة الصغرى كما لا يخفى.

و كيف كان فتحقيق القول في هذا المقام:

أن ذكر اسمه الشريف المعهود عليه السلام يتصور على أقسام:

أحدها: ذكره في الكتب، و لا ريب في جوازه للأصل، و لعدم شمول أدلة المنع لذلك، و لما نشاهده من استقرار سيرة سلفنا الصالحين، و علمائنا الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، من زمن **الكليني** رحمه الله إلى زماننا هذا على ذكر اسمه عليه السلام في كتبهم من غير نكير.

ثانيها: ذكره بالإشارة و الكناية، كأن يقال: اسمه اسم رسول الله، و كنيته كنيته، و هذا جائز لما مر في القسم الأول.

مضافا إلى روايات عديدة من طرق الخاصة و العامة: عن النبي صلى الله عليه وآله قد صرح بأن المهدي من ولدي، إسمه اسمي، و كنيته كنيتي.

و ليعلم أن الجواز في هذا القسم و القسم الأول مخصوص بغير حال الخوف فإنه من العناوين الطارية، التي توجب حرمة كل جائز، كما لا يخفى.

ثالثها: ذكره في الدعاء و المناجاة، بنحو لا يصدق عليه التسمية في المحافل و المجامع، و الظاهر هنا الجواز أيضا، لجريان ما تسمعه من الأدلة للجواز في القسم السابع في هذا القسم، مضافا إلى ورود ذلك في بعض الأدعية و التعقيبات، لكن الأحوط الترك، إلا أن يكون في رواية صحيحة، فتأمل جيدا.

رابعها: ذكره في المجامع أو غيرها في نفسه سرا، و الحق فيه الجواز أيضا، لانصراف أدلة المنع عن هذا القسم، فيبقى الأصل و أدلة الجواز سليمة عن المعارض، مضافا إلى:

ما روي في المستدرك مسندا عن **حذيفة بن اليمان**، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر في صفة المهدي عليه السلام قال: «**و هو الذي لا يسميه باسمه ظاهرا قبل قيامه إلا كافر به**»، و يؤيده أيضا تخصيص الحرمة في عقد الإجماع الذي نقله المحقق الداماد بقوله معلنا مجاهرا، و سيأتي كلامه.

خامسها: ذكر هذا الإسم الشريف في مواضع الخوف، كمحافل أعداء الدين و مجامعهم، الذين يجب التقية عنهم، و لا خلاف في حرمة ذلك من أحد المتقدمين و المتأخرين، و يدل عليه أيضا جميع أدلة التقية، و أحاديث المنع عن التسمية إتفاقا.

تنبيهات

الأول: قد ظهر من مطاوي ما ذكرنا الوجه في سائر الأقوال، و الجواب عنها فلا نطيل الكتاب بالإعادة.

الثاني: لا ريب في أن الأولى و الأحوط في غير المجامع أيضا ذكره عليه السلام بألقابه الشريفة و ترك التصريح باسمه المبارك المعهود خروجا عن شبهة الخلاف و لما فيه من التعظيم و الإحترام للإمام عليه السلام بل هو المعهود المتعارف في كلام الأئمة و أتباعهم عليهم السلام.

الثالث: قد ظهر من بعض الروايات السابقة أن من جملة أسمائه الشريفة، **أحمد**، فهل يحرم ذكره بهذا الإسم الشريف في المجامع أيضا أم يختص المنع باسمه المعروف و هو **محمد**؟ صرح صاحب كفاية الموحدين بعدم الفرق بينهما في الحرمة، و نسبه إلى المشهور، و فيه تأمل، لا نصراف الإسم إلى ما هو الشائع المعروف أعني محمدا، و كلام القائلين بالحرمة ليس نصا، و لا ظاهرا في حرمة تسميته بغير **م ح م د** من الأسماء، بل لم أعرف أحدا منهم ذكر القول بمنع ذكر هذا الإسم أعني أحمدا و لو احتمالا، لكن الإحتياط خير سبيل، و الله تعالى خير دليل.

الرابع: هل يلحق بالإسم الشريف كنيته المباركة التي هو كنية جده رسول الله صلى الله عليه وآله موضوعا، أو حكما؟ الأحوط: نعم، و الأقوى: العدم، لانصراف التسمية إلى غير اللقب و الكنية، كما هو الظاهر من ملاحظة العرف العام الذي هو مبنى موضوعات الأحكام.

و ما في حديث الخضر أنه قال: «لا يسمى و لا يكنى» لا يكتفى بمجرده في إثبات التكليف، لتطرق الاحتمالات فيه، فأصل البراءة سالم عما ينافيه، و كذا الحال في الإجماع المنقول، فإنه لا يكفي وحده عند الفحول، كما تبين في علم الاصول، و لذا خص مولانا المحقق النوري قدس الله تعالى نفسه، و طيب رمسه، المنع بخصوص ذكر اسمه المبارك المعهود، و مع ذلك كله فليس بناكب عن الصراط، من سلك سبيل الاحتياط، و الخروج عن شبهة الخلاف مطلوب في كل حال، و الله الهادي إلى أصوب الأقوال.

الهوامش:

١. حرّ العاملي، محمّد بن حسن، «وسائل الشيعه»، ج ١١، ص ٤٨٧.
٢. «إعلام الورى»، ج ٢، ص ٢١٣.
٣. «الكفاية»، احمد بن على الطبرسي، ج ٣، ص ٣٤٥.
٤. «المستدرك»، ج ١٢، ص ٢٧٩، باب ٣١.
٥. المجلسي، «بحار الانوار»، ج ٥١، ص ٣٢.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام»، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، صص ١٢٩-١٥٩؛ بالتلخيص.

اثنان وعشرون عاماً من عمري طويتها، كما يطويها الناس هاهنا في الضياع والحريات الهدّامة وجهل الذات، بعدها أخذ الله بيدي وانتشلني من قعر الظلمات، ليرفعني إلى حيث سناء النور. لقد عبرت ليل العشرين عاماً إلى حيث منبلج الصباح.

تانيا بولينغ ذات الثلاثة وعشرين ربيعاً لا تجيّد التفكير في ماضيها، بل هي تمتنع حتى عن عرض صورها الشخصية التي صوّرتها قبيل سنة واحدة.

لقد فقدت كل رفاقها السابقين، الذين باتوا غير مستعدين لقبول رفقة (تانيا)، الفتاة المسلمة... حتى والدها ووالدتها رموها بالصدود! بعذوبة ألفاظها تحدثنا تانيا قائلة حينما كنا لم يترك بعضنا بعضاً، ولم ينتهره بالطرد.. كنّا يومئذ نعيش سوية إلى جانب بعضنا، لكننا كنا لا نبالي أحدنا الآخر، الكل كان يحيا لنفسه ومن اجل نفسه.. كنا سوية نتقاسم الوحدة والعزلة، ولعلي لا أغالي إن قلت ان احدنا لم يكن يحيا حتى مع ذاته التي هجرها هي الاخرى.. لم نكن نمعن النظر حتى في مستقبلنا، بل لم يجرؤ احد على سؤال نفسه: لماذا أحيا؟ ولماذا ولدت؟ ومن أين جئت وإلى أين المصير؟!!

الكل يهيم على وجهه في طرقات ومنعطفات مضلّة لا يلوي على شيء.. كنا جميعاً نتطوّح في أزقة الحياة الغوغائية ولا نفكر في مأوى أو دار هنيئة.. كالمشردين والصعاليك والسائبين!

أجل كنا بالضبط كمشردي الحرب.. فعلى امتداد ثلاثة أشهر بلياليها وأيامها كان الصرب يندفعون صوب أبواب منازل الكوسوفيين الآمنين فيطلقون بضعة اطلاقات نارية في الهواء أو يلقون قنبلة يدوية مهددين أياهم بترك منازلهم ومغادرة أزقتهم ومحلاتهم وقراهم ومدنهم في مهلة لا تتجاوز السويعات العشر.. هذه المهلة التي إن لم ينتهزها الكوسوفيون ويغادروا خلالها مرابعهم يتعرضون عقبها إلى وضع أرواحهم وأعراضهم بين أنياب الأخطار المحدقة، فضلاً عن التفريط بمنازلهم وممتلكاتهم.. وهم حينما يشردون في الآفاق.. في الوديان والجبال والفيافي، ولا يعلمون ما الذي سيؤول إليه مصيرهم، إلى أين يذهبون، ولماذا يفرون؟ يزعم الصرب حينئذ بالقول لهم: **إنكم أحرار!**

في مثالي الآنف سبب الضياع والتشرد واضح، وأن الدوافع وراء التشريد والترحيل القسري هي مادية بحتة، رغم إنّ شعب كوسوفا لديه تطلعات معنوية ويتشكل من أسر دينية.. لكننا نحن الغربيين ضيّعنا غاياتنا وسبلنا وأخلاقنا وعقيدتنا ومعنوياتنا فأمسينا لا نجد لها أثراً.. ثم سمينا ذلك حرية!

الالسؤال: وهل تحسين الآن بالوحدة والعزلة؟

كلا، لكن في مدينتنا يعيش أكثر من ٥٠٪ من الناس، وأكثر من ٦٠٪ من الشباب والشابات حالة الوحدة رغم علاقات الصداقة والرفقة والصلات العائلية والأسرية الظاهرية، بل إن جميع الصلات الإنسانية – في شكلها المادي والظاهري من قبيل التفسح واللهو والعمل وغيرها – لا يطيقها هذا الجميع إلاّ لبضع ساعات من ليل يومهم أو نهاره، فيما يمضون ما تبقى من عمرهم

في غرفة أو شقة منزوين منقطعين عن الآخرين.

أما أنا، فعلى الرغم مما أعيشه من وحدة ظاهرية ومشاكل كثيرة مع عائلتي بسبب تشرفي بالإسلام، إلاّ أنني لازلت اعيش مع والدي ووالدتي، ولن انفصل عنهما طالما اني لم اتزوج.. وبالطبع كانت فيما بيننا طيلة هذه الفترة مساجلات ونقاشات عديدة، لكنهما أدركا أني في انتمائي للإسلام جادة، وهو ما قلل إلى حدّ كبير شدّة النزاعات فيما بيننا، وأضحى والدي ووالدتي يستحسنان في واقع الأمر أخلاقي وشخصيتي الإسلامية على نحو هو أفضل مما كانت عليه تصرفاتي في السابق.

السؤال: كيف أقبلت إلى الإسلام؟

القصة تبدأ من هنا، حينما التقيت صدفة في سوق مدينة «هامبورغ» بفتاة مسلمة محجبة، كنت يومذاك في رفقة عدد من أصدقائي، وكنت أحاول في تلك الأثناء، كما هو ديدن أية فتاة شابة ألمانية طائشة، أن أسخر من حجاب تلك الأخت وأن أحقرها لأجل حجابها، قلت آنئذ لتلك الفتاة: **أي مرض ألم بك فجعلك تغطين جسدك هكذا؟!** فردت عليّ برد قاطع قائلة: **وأنت أي مرض دهاك فجعلك تتعرين بهذه الصورة؟!** وبالنتيجة سعت هذه الفتاة إلى مباغتتي في حوار أثبتت فيه أن الستر وحفظ حياء وعفة المرأة دليل على السلامة النفسية والاتزان الروحي، وإن الحجاب يمنح المرأة حرية معنوية يمكنها من صيانة أمنها الاجتماعي، فيما التعري أمر يخالف الفطرة والشخصية الإنسانية للمرأة.

وبالنتيجة رفضت كلامها جملة وتفصيلاً، ثم انطلق كل منا إلى شأنه وسبيله، لكنني بقيت أتذكر لفترة منطقها وثقتها بنفسها وحرصها على دينها وسعة اطلاعها، حتى سنحت لي فرصة دفعني خلالها فضولي للذهاب إلى «مسجد الإمام علي عليه السلام» في هامبورغ، فتحدثت وتحاورت بما لا بأس به مع عدد من الإخوة والأخوات الذين اجتمعوا هناك وهم من شعوب مختلفة، ومضت فترة لكن منطق وقوة حجّة ودليل المسلمين لم يمكن ذهني من التحرر من أسر قيودها وهيمنتها عليه، فمتنت فيما بعد علاقاتي وصلاتي مع عدد من المسلمين كان من بينهم إيرانيون وأفغان وألمان، وشيئاً فشيئاً أخذ عقلي وروحي يستسلمان وينقادان لأفكار وعقائد المسلمين، حتى وصلت بي الحال أن بدأت أشعر أنّي أيضاً مسلمة مثلهم ولا أختلف في شيء عنهم.

السؤال: ما هو الشيء الذي استحوذ على اهتمامك في الإسلام، أكثر من غيره؟

العلاقة المعنوية للمسلمين مع ربهم، وعلاقاتهم الصميمية فيما بينهم ومع أفراد أسرهم، وتوادهم، ووجود الهدفية في الحياة عندهم، وتضامن الأُمّة الإسلامية الذي لا يعرف حدوداً سواء على صعيد العنصر أو القوم أو الانتماء الجغرافي، إضافة إلى التمسك بدينهم والاعتقاد الراسخ بالقضايا العقائدية، حتى في ما بين أوساط الشباب منهم، كل هذا جلب اهتمامي.

وبالطبع فإنّ المسلمين أخذوا هذه الأُمور في الإسلام نفسه، وهم يمارسون حياتهم اليومية إلى حدّ ما وفق ذلك وبما لا ينفكّ بعضه عن البعض الآخر.

لذلك أقول إنّني لو كنت قد التقيت مسلمين غرباء عن دينهم وإسلامهم لما كنت قد ملت إلى الإسلام أصلاً. وما يجذبني إليه اليوم بشكل فائق من حيث الجوانب الفكرية . العقائدية هو القرآن أولاً وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

السؤال: إعتناقك للإسلام، ماذا حققت منه أو كسبت فيه؟

كل ما يتمناه المرء في دنياه، إنّما يتمناه لنفسه، فأنا لو فقدت أو خسرت كلّ شيء في تلك الحالة، أكون في مقابل ذلك قد وجدت وكسبت ذاتي لقد كنت أمتلك كل شيء إلاّ الله! ومع ذلك كنت أشعر بالخواء والضياع والحيرة، لكنني اليوم وبعد ان عثرت على ذاتي التي فقدتها منذ عشرين عاماً وعرفت ربي الذي كنت عنه غريبة بالمرة، بعد عثوري على هذين الوجودين، حصلت على كل شيء بل وكل ما أريد بفضل الإسلام.

لقد حصلت على الحرية المعنوية، وعلى السكينة والاطمئنان الروحي، كما حصلت على إمام عظيم ونجيب ومحبوب، وعلى إخوة وأخوات في الله، في كُلّ مكان، في هامبورغ وألمانيا وأوروبا وفي العالم قاطبة. والأهم من كل ذلك أنّي عثرت فيما عثرت عليه، على رسالة الله إلى الإنسانية (القرآن) التي بعثها منذ قرون متمادية، عثرت عليها في خزانة كنوز التاريخ، فأخذتها فكانت لي أعظم رأسمال في حياتي.

أجل، لقد طويت ليل العشرين عاماً من عمري عبر طلوع فجر يوم جديد. لقد منحتني شمس الإسلام، كما تهب اشعتها الحياة للشجر في الربيع، كل عنفوان وحيوية بعد سبات شتائي طويل امتد لسنوات ربت على العشرين.

السؤال: وماذا تتمنين منه لنفسك؟

أتمنى منه بل وأطلب أن يدعو لي لكي يمنحني الله تعالى أُسرة مسلمة، أعني أن يهدي الله أبي وأمي للإسلام، أو أن يجعل من نصيبي زوجاً مسلماً مؤمناً، ولعل رجائي لا غلو فيه لو منّ الله عليّ بتحقيق كلتا الأمنيتين.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٤، صص ٢٨٤–٢٩٠

مبدأ الأخوة الإيمانية

عمل الإسلام على بناء وتدعيم علاقات طيبة بين الناس تقوم على أساس الأخوّة والألفة، وإذا كان علم الاجتماع معنيا أولاً وقبل كل شيء بالظواهر الاجتماعية، فإن ظاهرة الأخوّة التي أوجدها الإسلام بين أفراده تستحق الدراسة والتأمل، فقد كان العرب . في الجاهلية . على شفا حفرة من نار الخلاف والاختلاف والتمزق والتقاتل، ولكنهم بعد أن ارتضعوا من لبان ثقافة الإسلام أصبحوا أمة متحدة، مرهوبة الجانب تمتلك أسباب التمدّن والرّقي.

فقد أحدثت مبادئ الإسلام وخاصة مبدأ الأخوة إنعطافا اجتماعيا حادا في أنماط تفكير وسلوك الغالبية الغالبة من المسلمين، حيث كان الإنسان الجاهلي قبل الإسلام منكفئا على ذاته، ومتقوقعا داخل أسوار نفسه، فغدا بفضل الإسلام إنسانا إجتماعيا يشعر بمعاناة إخوته، ويمدّ يده العون لهم، ويشاركهم في مكاره الدهر.

وهذه النقلة الحضارية يشير إليها القرآن بصورة جلّية، في قوله عز من قائل: «**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا.**»[1]

وكان للسُنة النبوية الأثر البالغ في تدعيم وترسيخ مبدأ التكافل من خلال تأكيدها على مبدأ الأخوة وما يستلزمه من التزامات إجتماعية كقضاء حوائج الإخوان وإعانتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من سعى في حاجة أخيه المؤمنين، فكأنّما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائما نهاره، قائما ليلة.»[2]

وقال صلى الله عليه وآله: **«من قضى لأخيه المؤمن حاجةً، كان كمن عبد الله دهره.»**[3]

وقال صلى الله عليه وآله: **«من مشى في عون أخيه ومنفعته، فله ثواب المجاهدين في سبيل الله.»**[4]

فهنا نجد أن قضاء حوائج الأخوان وخاصة تلك التي لابد منها لاستمرار العيش الكريم يرفعها الرسول صلى الله عليه وآله إلى درجة العبادة العملية التي تستلزم الثواب الأخروي الجزيل.

وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يحثّ على صون كرامة الأخ المؤمن وعدم إراقة ماء وجهه بعدم تكليفه الطلب عند حاجته، لذلك يدعو إلى المبادرة بقضاء حوائجه بمجرّد الشعور بحاجته إلى المساعدة، وهذه توصية حضارية في غاية الأهمية، قال صلى الله عليه وآله: **«لا يكلّف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته.»**[5]

ونسجت مدرسة أهل البيت عليهم السلام: على هذا المنوال بأقوال عديدة تعكس حالة التضامن والتكافل التي ترغب في إشاعتها بين أفراد المجتمع، فعن الإمام علي عليه السلام قال: **«خير الاخوان من لا يحوج إخوانه إلى سواه.»**[6]

وقال أيضا: **«خير اخوانك من واساك.»**[7]

ورسم لنا أمير المؤمنين عليه السلام مقياسا للتفاضل الاجتماعي يقوم على المنفعة المتبادلة، عندما قال: **«خير الناس من نفع الناس.»**[8]

في حين أن حفيده الإمام الصادق عليه السلام يرسم لنا معادلة إلهية، هي: **«إنّ الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه.»**[9]

وعنه عليه السلام: أن **«من قضى لأخيه المؤمن حاجة، قضى الله عزّوجل له يوم القيامة مئة ألف حاجة.»**[10]

ويقول أيضا: **«من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم كان الله في حاجته، ما كان في حاجة أخيه.»**[11]

وقال عليه السلام: **«قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجّة متقبّلة بمناسكها، وعتق ألف رقبة لوجه الله، وحملان ألف فرس في سبيل الله بسرجها ولجامها.»**[12]

نتيجة لكل ذلك ما انفك إمامنا الصادق عليه السلام يوصي بمبدأ الأخوة في مختلف الأحوال والظروف، عن **محمد بن مسلم**، قال: أتاني رجل من أهل الجبل، فدخلت معه على أبي عبدالله عليه السلام فقال له عند الوداع: أوصني. فقال: **«أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم، وأحب له ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فاعطه ... فوازره وأكرمه ولاطفه، فإنّه منك وأنت منه.»**[13]

ويظهر على ضوء ما تقدم من أحاديث أهل البيت: أن التكافل من أروع أنواع عبادة الله، بل ويضاهي العبادات الأخرى، ويفوقها ثوابا، قال الإمام الباقر عليه السلام: **«لأن أعول أهل بيت من المسلمين ... أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم، فأكفّ وجوههم عن الناس، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة [وحجّة]، ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرا، حتى بلغ عشرة، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين.»**[14]

وهناك إشارات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: على أن قبول الأعمال العبادية متوقف على قضاء حوائج الإخوان المؤمنين، وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له، كتب الله عزّ وجل له بذلك أجر حجّة وعمرة مبرورتين، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام، ومن مشى فيها بنيّة ولم تقضى كتب الله له بذلك من حجّة مبرورة.»**[15]

وعنه عليه السلام: **«إنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل الله عزّ وجل به ملكين: واحدا عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته.»**[16]

الهوامش:

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، قم، جماعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.، ج ٢، ص ١٩٠.

٣. الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٤٨١، المجلس السابع عشر.

٤. الشيخ الصدوق، «ثواب الأعمال»، قم، منشورات الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ.، ص ٢٨٨.

٥. الشيخ الصدوق، «الخصال»، قم، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص ٦١٤.

٦. الآمدي، «غرر الحكم»، بيروت، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الاولى، ج ١، ص ٣٥٠، ح ٣، الفصل ٢٩.

٧. الليثي الواسطي، «عيون الحكم والمواعظ»، دار الحديث، الطبعة الاولى، ١٣٧٦ش.، ص ٢٣٨.

٨. نفس المصدر، ص ٢٣٩.

٩. الشيخ الصدوق، «ثواب الأعمال»، ص ١٣٥.

١٠. الكليني، «الكافي»، ج ٢، ص ١٩٣، ح ١ باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

١١. الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ١٤٧، المجلس الرابع.

١٢. الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، نجف، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانيه، ص ١٤٨.

١٣. الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٩٧، المجلس الرابع.

١٤. الكليني، «الكافي»، ج ٢، ص ١٩٥، ح ١١ باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

١٥. نفس المصدر، ح ١٠ من الباب المتقدم.

١٦. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٩٧، ح ٦ باب السعي في حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

المصدر: ذهبيات، عبّاس، «التكافل الإجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام»، مركز الرسالة، ١٤٢٥هـ.، صص ٩-١٣.

الجليس الصّالح خير من الوحدة

وصية النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ (١٠)

قال **أبي الأسود:** قدمت الرّبذة فدخلت على أبي ذرّ جندب بن جنادة فحدّثني **أبو ذرّ**، قال:

دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، فلم أر في المسجد أحدا من النّاس إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت:

يا رسول الله، بأبي أنت و أمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها.

فقال:

«يا أبا ذرّ، من أقام و لم يؤذّن، لم يصلّ معه إلّا الملكان اللّذان معه.

يا أبا ذرّ، ما من شابّ يدع لله الدّنيا و لهوها، و أهرم شبابه في طاعة الله، إلّا أعطاه الله أجر اثنين و سبعين صدّيقا.

يا أبا ذرّ، الذّاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين.

يا أبا ذرّ، الجليس الصّالح خير من الوحدة، و الوحدة خير من جليس السّوء، و إملاء الخير خير من السّكوت، و السّكوت خير من إملاء الشّرّ.

يا أبا ذرّ، لا تصاحب إلّا مؤمنا، و لا يأكل طعامك إلّا تقيّ، و لا تأكل طعام الفاسقين.

يا أبا ذرّ، أطعم طعامك من تحبّه في الله، و كل طعام من يحبّك في الله (عزّ و جلّ).

يا أبا ذرّ، إنّ الله (عزّ و جلّ) عند لسان كلّ قائل، فليتّق الله امرؤ، و ليعلم ما يقول.

يا أبا ذرّ، اترك فضول الكلام، و حسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك.

يا أبا ذرّ، كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكلّ ما سمعه.

يا أبا ذرّ، ما من شيء أحقّ بطول السّجن من اللّسان.

يا أبا ذرّ، إنّ من إجلال الله إكرام العلم و العلماء، و ذي الشّيبة المسلم، و إكرام حملة القرآن و أهله، و إكرام السّلطان المقسط.

يا أبا ذرّ، من فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت.»

يتبع...

المصدر: «الأمالي»، الشيخ الطوسي ، ج ١، ص ٥٣٥.

الاولاد والسعادة

الانسان منذ نعومة اظافره يحب السعادة ويهرب من الشقاء، فأنّه يسعى ويجد بكلّ قواه لنيل السعادة والعيش الرغيد المفعم بالراحة والهناء ويحاول بكلّ طاقاته أن يسعد نفسه أولا ثمّ اسرته ومجتمعه والحق سعادة الانسان والمجتمع في نظام الإسلام الشامل الذي سنّه الله وأنزله والبشرية منذ ميلادها وحتى اليوم وغدا لم تجد نظاماً رصينا في قوانينه ومقاصده وطريقه كالدين الإسلامي القويم اذ هو دين الله والفطرة.

والإسلام جاء لاسعاد الانسان وادارة دفة السفينة البشرية وسوقها نحو ساحلها المأمون وشاطئها المامون شاطئ السعادة والعدالة والحرية وساحل الرفاه والسلام والتقدم والازهار والوصول الى الكمال المطلق وتوحيد الله الأعظم.

والنصر حليف الإسلام شاءت الأعداء أم أبت والله متم نوره ولو كره المشركون، وقد أمرنا أن ندعو لسعادة أولادنا ونطلب من الله ذلك وهم أجنّة في بطون أمهاتهم.

باسناده عن كتاب «علل الشرائع» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«تعتلج النطفتان في الرحم فأيهما كانت أكثر جاءت تشبهها فأن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله وان كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين فمن أراد أن يدعو الله عزوجل ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ثم يبعث الله عزوجل ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها الى الله عزوجل فيقف منه ماشاء الله فيقول: الهي أشقيّ أم سعيد؟ فيوحى الله عزوجل من ذلك ما يشاء، ويكتب الملك فيقول اللهم كم رزقه وما أجله؟ ثمّ يكتبه ويكتب كلّ شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم فذلك الله عزوجل: «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها.»[1,2]

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«ثلاث من سعادة المرء المسلم في الدنيا الجار الصالح والمسكن الواسع والمركب البهي.»**

ان الله تعالى وكّل بالرحم ملكا يقول: «أي رب نطفة أي رب عقلة، أي رب مضغة، فأذا أراد أن يقضي خلقها، قال: أي رب شقي أو سعيد ذكر أو انثى؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمّه.»[3]

الهوامش:

١. الشيخ الصدوق، «علل الشرايع»، قم، مكتبة الداوري، ١٩٦٦م.، ج ١، ص ٩٦.
٢. سورة الحديد، الآية ٢٢.
٣. «نهج الفصاحة»، ص ٢٦٠، حديث ١٢٥٧.

المصدر: العلوي، السيد علي بن الحسين، «الأثر الخالد في الولد والوالد»، منشورات دار الذخائر، صص ١٠-١١.

بنو العباس
القسم السادس

محمدجواد مغنية

المتوكل

مات المأمون سنة عشرة و مائتين، و فيها بويع **المعتصم**، و كانت خلافته ثماني سنين و اشهرا، و قام بعده الواثق، و كانت خلافته خمس سنوات؛ و بويع لأخيه **المتوكل**، و بقي في الحكم اربع عشرة سنة و أشهرا؛ قال صاحب مقاتل الطالبين: خرج **محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن ابى طالب**، في ايام المعتصم، فتغلب عليه و سجنه، ثم فر من السجن؛ و امتنع **عبد الله بن الحسين بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب** عن لبس السواد، شعار العباسيين، فسجنه المعتصم، حتى مات[1] اما الواثق فقال **السيد محسن الامين** في الجزء الاول من «اعيان الشيعة»، انه أكرم العلويين، و أحسن اليهم و تعهدهم بالأموال.

اما المتوكل فقد كان معروفا في اللهو و المجون و معاقرة الخمر، قال **المسعودي**:هو اول خليفة من بني العباس ظهر في مجلس اللعب و المضاحك و الهزل.

و قال **السيد امير علي** في كتاب «مختصر تاريخ العرب»: و في عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية، و تسرب الفساد في جسم الدولة، و امر الناس بالتمسك بالتقليد، و اقصى احرار الفكر عن الوظائف كما تغلب عليه الاتراك، و اصبحوا اصحاب الأمر و النهي.

و قال ابو الفرج في مقاتل الطالبين: كان المتوكل شديد الوطأة على آل ابي طالب عليهم السلام، غليظا في جماعتهم، شديد الغيظ و الحقد عليهم، و سوء الظن و التهمة لهم... و استعمل على «المدينة» و «مكة» **عمر بن الفرج الرخجي**، فمنع آل ابي طالب عليهم السلام من التعرض الناس، و منع الناس من البر بهم، و كان لا يبلغه ان احدا منهم بشيء، و ان قل الا انهكه عقوبة، و اثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه، و يجلسن على مغازلهن عواري حاسرات. هكذا شاء المتوكل على الله ان تقبع العلويات في بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة، و ان تختال الفاجرات العاهرات بالحلي و حلل الديباج بين الاماء و العبيد... لقد ارسل الرشيد الى بنات الرسول صلى الله عليه و آله من يسلب الثياب عن ابدانهن، اما المتوكل فقد شدد و ضيق عليهن، حتى الجأهن الى العري، و هكذا تتطور الفلسفات و المناهج مع الزمن على ايدي القرشيين العرب ابناء الامجاد و الاشراف!.

لقد تفرق العلويون ايام المتوكل نيرون العرب كما سماه بعض المؤرخين، فمنهم من توارى، فمات في حال تواريه، كـ**احمد بن عيسى الحسين**، و **عبد الله ابن موسى الحسيني**، و منهم من ثار من الضغط و الجور، كـ**محمد بن صالح**، و **محمد بن جعفر**.

و لم يكتف المتوكل بتنكيل الأحياء، حتى اعتدى على قبور الأموات، فهدم قبر الحسين عليه السلام و ما حوله من المنازل و الدور، و منع الناس من زيارته، و نادى مناديه من وجدناه عند قبر الحسين عليه السلام حبسناه في المطبق – سجن تحت الأرض – فقال الشاعر:

تالله ان كانت امية قد اتت
قتلى ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه مثلها
هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شايعوا
في قتله فتتبعوه رميما

و كان المتوكل يقرب **علي بن جهم** لأنه كان يبغض عليا امير المؤمنين عليه السلام، و كان ابن الجهم هذا مأبونا؛ سمعه يوما ابو العيناء يطعن على الامام، فقال له: انك تطعن عليه، لأنه قتل الفاعل و المفعول من قوم لوط، و انت اسفلهما.[2]

و كان **ابن السكيت** من كبار العلماء و الادباء في زمانه، و قد ألزمه المتوكل تعليم ولده **المعتز**، فقال له يوما: ايهما أحب اليك ابناي هذان: المعتز و المؤيد، او الحسن و الحسين عليهم السلام؟ فقال ابن السكيت: و الله ان قنبرا خادم علي بن ابي طالب عليه السلام خير منك و من ابنيك، فقال المتوكل للاتراك:سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا، فمات. و وقع ابن السكيت فيما حذر منه، لأنه القائل:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
و ليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه
و عثرته في الرجل تبرا على مهل

و كان عند المتوكل مخنث يدعى عبادة، فيشد على بطنه مخدة، و يرقص بين يدي المتوكل، و المغنون يغنون: أقبل البطين خليفة المسلمين و هم يعنون عليا امير المؤمنين عليه السلام، و المتوكل يشرب و يضحك، و فعل ذلك يوما، و ابنه **المنتصر** حاضر، فقال لأبيه: ان الذي يحكيه هذا الكلب و يضحك منه الناس هو ابن عمك، و شيخ اهل بيتك، و به فخرك، فكل انت لحمه اذا شئت، و لا تطعم هذا الكلب و امثاله، فقال المتوكل للمغنين: غنوا

غار الفتى لابن عمه
رأس الفتى في حرامه

و سمعه يوما يشتم فاطمة بنت الرسول عليها السلام، فسأل احد الفقهاء، فقال له:

قد وجب عليه القتل إلا ان من قتل اباه لم يطل عمره، فقال المنتصر: لا ابالي اذا أطعت الله بقتله ان لا يطول عمري، فقتله، فعاش بعده سبعة اشهر.

لقد امر القرآن بمودة اهل البيت عليهم السلام، و جعلها اجرا و شكرا لمحمد على ما اسداه لأمته من الخير، فكانت النتيجة ان اقرب الناس اليه الذين حكموا و تحكموا برقاب الناس باسمه هم الذين استباحوا من دماء ابنائه، و التنكيل بهم ما لا يقبل المزيد!.. ان الذين أنكروا محمدا صلى الله عليه و آله و رسالته أهون على الاسلام بكثير من المتوكل و أمثاله الذين أظهروا الاسلام، ثم كادوا له و خالفوه مخالفة المضاد المعاند، و العدو الحاقد.

و نكتفي بما ذكرناه عن العباسيين، فان فيه الدلالة الكافية الوافية على قبح سيرتهم، و سوء سياستهم التي تتلخص بكلمتين: اجتراء على الشر و الحرام، و شغف بالظلم و الفساد، و احتقار للدين و الانسانية. و المصدر الوحيد لهذه السيئات و المنكرات هو حكم الفرد، و استقلاله في شئون الدولة، و استهتاره بحقوق الجماعة.

دعبل الخزاعى

من مبادئ الشيعة و اصولهم ان الله سبحانه لا يخلي الارض من قادة ابرار يأمرون بما أمر الله به، و ينهون عما نهى عنه، ينطقون بالحق، و ينشرونه بين الناس، و يستعلون بمنطقهم و حججهم على المبطلين. و ان الله قد خص هؤلاء بالجلد و الصبر على المكاره في سبيل الحق، و بالشجاعة في مجابهة الشر، و قوى الباطل و الضلال.

و اذا اعتقد الشيعة ان هذه الصفات يجب توافرها في الامام، او من ينوب عنه فانهم يعتقدون ايضا انه لا بد ان يوجد في كل عصر من يؤمن بالحق، فقيها كان او شاعرا، او أي فرد من الناس.

و كان في الدولة العباسية كما كان في الدولة الاموية مؤمنون مخلصون، رفضوا الباطل و قاوموه، و ذادوا عن الحق و ناصروه، و استهدفوا للمخاوف و الاخطار و كان منهم العلماء و الفقهاء، و الشعراء و غيرهم من عامة الناس، و قد حفظ التاريخ اسماء عدد غير قليل من الشعراء، و أهمل اسماء آخرين خوفا من نقمة الحاكم، او طمعا في رشوته، و مع ذلك فقد بلغ عدد الذين ذكرهم المؤرخون و اهل السير مبلغا كبيرا، منهم **ابن الرومي** الذي قال في قصيدته الجيمية التي رثى بها **يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد**:

اجنوا بني العباس من شنآنكم
و اوكوا على ما في العياب و اشرجوا
نظار لكم ان يرجع الحق راجع
الى اهله يوما فتشجوا كما شجوا
لعل لهم في منطوى الغيب ثائرا...

قال الاستاذ العقاد في كتاب «ابن الرومي»: نظم الشاعر هذه القصيدة بغير داع يدعوه الى نظمها من طمع او مداراة، بل نظمها. و هو يستهدف للخطر. و منهم ابو فراس الحمداني، نظم قصيدة يعدد فيها فضائل العلويين، و مساوئ العباسيين منها:

الحق مهتضم و الدين مختزم
و في آل رسول الله صلى الله عليه و آله مقتسم
يا للرجال اما لله منتصر
من الطغاة و ما للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم
و الامر تملكه النسوان و الخدم
ما نزهت لرسول الله صلى الله عليه و آله مهجته
عن السياط فلا نزه الحرم
ما نال منهم بنو حرب و ان عظمت

تلك الجرائم الا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة
و كم دم لرسول الله عندكم
ليس الرشيد كموسى في القياس و لا
مأمونكم كالرضا ان انصف الحكم
ابلغ لديك بي العباس مالكة
لا تدعوا ملكها ملاكها العجم
خلوا الفخار لعلامين ان سئلوا
يوم السؤال و عمالين ان عملوا
لا يغضبون لغير الله ان غضبوا
و لا يضيعون حق الله ان حكموا
تنشى التلاوة في ابياتهم ابدا
و في بيوتكم الاوتار و الغنم
ما في ديارهم للخمر معتصر
و لا بيوتهم للسوء معتصم
و لا تبيت لهم خنثى تنادمهم
و لا يرى لهم قرد له حشم
الركن و البيت و الاستار منزلهم
و زمزم و الصفا و الخيف و الحرم
صلى الله عليهم كلما سجعت
ورق فهم للورى كهف و معتصم

تعبر هذه الابيات عن عظمة اهل البيت عليهم السلام، و حقهم بالخلافة، و اغتصاب خصومهم لهذا الحق، و تآمرهم على الناس باسم الدين، و هم أعدى اعدائه لقد حكم العباسيون – و في بيوتهم – الخمر و الزنا و الغناء، و نكلوا بالعلويين و في بيوتهم القرآن و العبادة و الاذكار، ان آية حكومة تتسم بسمة الدين فهي فساد و ضلال ما دام حكامها أمثال المنصور و الرشيد و المأمون و المتوكل، و من اجل ذلك قال الشيعة الامامية: ان الحكومة لا تكون دينية الا اذا كان الحاكم إماما معصوما عن الخطأ و الزلل، او عالما عادلا يرتضيه الله و الرسول، و إلا فهي دنيوية لا دينية؛ و زمنية لا الهية.[٣]

ان صنوف الشدائد و المحن التي لاقاها اهل البيت عليهم السلام و شيعتهم يرجع سببها الى الحكومة التي جعلت الدين شعارا لها، و ما هي من الدين في شيء حيث يشعر الحاكم من نفسه النقص او عدم الأهلية، فينتقم لنفسه من اهل التقى و الكمال، هذا الى انه يبرر مظالمه و مفاسده بالدين و أوامره، بفتوى فقهاء الاسلام و العلماء و الاعلام!..

و أجرأ شاعر عرفه التاريخ في قول الحق، و مجابهة المبطلين هو دعبل الخزاعي فقد هجا الرشيد و المأمون و المعتصم و الوثائق، و القواد و الوزراء و ابناء الخلفاء، و وجه اليهم أعنف الضربات و أقساها، دون ان يحسب حسابا لشيء، قال حين اسند المعتصم القيادة العامة الى الاتراك، و سلطهم على دماء الناس و أموالهم و أعراضهم:

لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم
و صيف و اشناص و قد عظم الكرب
و قال حين مات المعتصم، و قام الواثق:
خليفة مات لم يحزن له احد
و آخر قام لم يفرح به احد

لأن اللاحق مثل السابق، إمام جور و ضلال، و رئيس نفاق و فساد[٤] كلما دخلت امة لعنت اختها. و قال يصف طغيان بني العباس و اسرافهم في القتل و الأسر و السلب و النهب و الحرق:

قتل و أسر و تحريق و منهبة
فعل الغزاة بارض الروم و الجزر
ارى امية مذعورين ان قتلوا
و لا ارى لبني العباس من عذر
اربع بطوس على القبر الزكي اذا
ما كنت تربع من دين الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم
و قبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من الزكي و ما
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت
له يداه فخذ ما شئت او فذر

الزكي هو الامام الرضا عليه السلام، و الرجس هارون الرشيد، و قد عذر الشاعر في شعره بني امية، لتكون الحجة أبلغ على العباسيين،

لأن الامويين أعلنوا العداء منذ اليوم الاول لعلي و ابنائه عليهم السلام، اما العباسيون فقد كانوا حزبا واحدا مع بني عمومتهم على الامويين، و ثاروا، و شعارهم الدعوة للرضا من آل محمد عليهم السلام، و لم يدع العباسيون لأحد منهم في بدء الامر، كما أسلفنا، و لكنهم حين حكموا طغوا و بغوا و فعلوا فعل الغزاة و العصابات. و قال:

لا اضحك الله سن الدهر ان ضحكت
و آل احمد مظلومون قد قهروا
مشردون نفوا عن عقر دارهم
كانهم قد جنوا ما ليس يغتفر

اما تائيته الذائعة النائحة كما يقول احد ادباء العصر فانها سجل حافل بجرائم العباسيين و مظالمهم، و وثيقة تاريخية خالدة تنطق بسياستهم الدموية الغاشمة، و لسنا نعرف شاعرا او ثائرا تركت اقواله من الحقد و النقمة على السلطان ما تركته هذه القصيدة، فقد حفظها الكبير و الصغير، و الخطير و الحقير، حتى اللصوص و قطاع الطرق كانوا يرددون ابياتها، و هم يسلبون الناس[٥] و بكى الامام الرضا عليه السلام حين انشده دعبل القصيدة، و بكت معه النسوة و الاطفال، و ما زال الشيعة الى اليوم يتلونها على المنابر، و يبكون، لقد عرفت هذه القصيدة الاجيال بحقها المسلوب، و بالقيم، التي يجب ان يدافع عنها كل انسان، و يقاتل من اجلها حتى الموت، لقد مضى على نظمها اكثر من ألف و مائة عام، و مع ذلك فهي أشهر و أعرف من شعراء هذا العصر الذين ملئوا المكتبات باشعارهم و دواوينهم، و السر في خلودها انها تعبر تعبيرا صادقا عن آلام المنكوبين و المعذبين في كل زمان و مكان، و منذ شاعت هذه القصيدة و ذاعت خسر العباسيون هيبتهم و معنوياتهم، و اخذ سلطانهم في الانحدار و الانحطاط.

و لم يكن لدعبل من غاية سياسية في معارضة السلطان و لا طمع في منصب او مال، و انما هو الدين و الاخلاص للعقيدة، فقد كان يردد القول: انا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة، لست اجد من يصلبني عليها و اخيرا وجد من يغتاله، فقد كمن له مجرم فاتك بعد صلاة العتمة، و ضربه بعكاز مسموم، فمات، و هكذا شاء القدر ان يلائم بين الكميت و دعبل في الشهادة، كما لاءم بينهما في الجهاد لنصرة آل الوحي و الرسالة.و نختم هذا الفصل بكلمتين:

جاء الادب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد، فقد قتل علي، و اصبح آله يستذلون، و يضامون؛ و يقصون و يمتهنون، و يحرمون و يقتلون، و يخافون و لا يأمنون على دمائهم و دماء اوليائهم، فقتل انصار علي في كل قطر و كل مصر، و عذبوا تعذيبا مرا، قطعت منهم الايدي و الارجل..[٦]

و من ذكر عليا سجن او نهب ماله او هدمت داره، و كان البلاء يشتد على العلويين يوما بعد يوم.. فمن دفن الناس احياء الى الصلب الى الحرق الى الحبس و منع الهواء و الاكل و الماء عن المحبوس، حتى يقضي نحبه جوعا و عطشا.. و كانوا يصلبونهم و يتركونهم حتى تنبعث منهم الروائح الكريهة، ثم يحرقونهم و يذرونهم في الهواء، و حرموا على الناس ان يسموا ابناءهم عليا او حسنا او حسينا عليهم السلام.

و كان العباسيون أشد كرها للعلويين من الامويين، و أعظم بغضا، فأمعنوا فيهم قتلا و حرقا، و اضطهادا و تعذيبا، فأمر المنصور، فحمل اليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل و الاغلال، و لما وصلوا اليه حبسهم في سجن مظلم لا يعرف فيه ليل من نهار، و كان اذا مات احدهم ترك معهم، و اخيرا أمر بهدم السجن عليهم.

و قد بالغ الرشيد في التنكيل بالعلويين، و لم يخف الضغط عليهم إلا حين ضعفت الخلافة العباسية، و اصبح السلطان الفعلي في الممالك الاسلامية للترك و الديلم و بني حمدان. كل هذه النكبات قد اثرت تأثيرا كبيرا في الادب الشيعي نثره و شعره.

و الثانية لعبد الحسيب **طه حميدة** قالها في كتاب «ادب الشيعة» ص ٣٢٨ طبعة ١٩٥٦:

في الحق ان حركة التشيع اغنت الادب العربي الى حد كبير، و ساهم ادباؤه في بناء النهضة الادبية مساهمة مشكورة بما انتجوا من أدب و أثاروا من خصومة. و قد رأينا كيف كان الادب الشيعي جزل اللفظ، محكم النسج، رصين العبارة، صادق الاداء.. صورة ناطقة لنفسيات قومه و عواطفهم و سجلا خالدا لحياتهم و عقائدهم، و تصويرا رائعا لما أصابهم من محن و حل بساحتهم من نكبات.

و علمنا مصادر الالهام لهذا الادب الكريم، فهو نتاج عاطفتين: عاطفة الحزن، و عاطفة الغضب، و خلاصة ثقافات مختلفة، عربية و أعجمية، مزجها الاسلام روحا و معنى، و نقل اصحابها ذاتا و وطنا، و أخضعهم لسلطانه اخضاعا تداخلت به اللغات و الافكار و العقائد.. ثم كان الادب الشيعي أصدق ما تمثلت فيه هذه الثقافات، اذ كان الحزب الشيعي لاسباب سياسية و دينية اكبر حزب جمع هذه العناصر، فأغنى بذلك النتاج الشيعي، و كان الادب الناتج عنهم ادبا غزيرا قويا، تصدره عاطفة و قلب و عقل، و تنضح عليه ثقافات العراق المعرفة في الرقي المتعددة المشارب، فاستفاد الادب العربي من هذه الناحية، و عززت مادته، و اتسعت معانيه و اغراضه.

ترى ذلك واضحا في هذه العقائد الشيعية التي شرحناها قبلا، و رأينا اثرها في الادب، و أدركنا الى اي حد كان التشيع مجازا لنقل هذه العقائد المختلفة الى الحياة العربية، و العقلية العربية، و الادب العربي، و تلك و لا شك مساهمة في المجهود الادبي لم تكن لو لا التشيع.

و اخرى من ناحية التأثير ان الموقف الذي وقفته الدولة من الشيعة من شأنه ان يلهب العاطفة، و يثير الوجدان، و يخلق فنا جديدا من القول، و مسرحا جديدا للخيال، و قد تمثل ذلك في الادب السياسي و العاطفي، و ظهر اول ما ظهر، و أقوى ما ظهر في الادب الشيعي، ادب النفس الثائرة، و العاطفة الصادقة، و الحب المتأجج، ادب العقيدة، كما قلنا، فبنى الشيعة بذلك ركنا من الحضارة الادبية باذخا و شديدا، و كان لهم اكبر الفضل في النهوض بهذه الناحية العاطفية و السياسية، في وقت كان الادب الرسمي فيه تطغى عليه الرغبات المادية و المعنوية و تصرفه عوامل الرجاء و الخوف، و تلهب نفوس اصحابه سيئات العطايا، و انك لتلمس ذلك فيما صوره الشيعة من آلام و شرحوا من حجج، و كشفوا من مظالم، و أثاروا من أحقاد، دفاعا عن عقيدتهم، و جهادا في سبيل قضيتهم.

الهوامش:

١. سجن المعتصم الامام الجواد بن الامام عليه السلام ثم اطلقه، و اتفق مع الفضل بنت المأمون و زوجة الامام الجواد على ان تدس له السم. ففعلت. و مات الامام عليه السلام مسموما بسم المعتصم.

٢. ابن ابي الحديد، شرح ابن ابى الحديد، ج ١،ص ٣٦٣.

٣. ليس لاي حاكم عند الامامية ان يحكم بامر الله و باسم الدين الا اذا نص عليه الرسول. و كان معصوما. و الا فهو كسائر الناس. و بهذا سدوا الطريق على الادعياء الذين يسمون انفسهم خلفاء الرسول. ثم لا يحكمون بما امر الله.

٤. قال المقريزي في كتاب «النزاع و التخاصم» ص ٧٣: غلب على العباسيين الجبروت و دخلت النعرة في انافهم. و ظهرت الخنزوانية بينهم. فسموا عوائد العجم ادبا. و قدموها على السنة النبوية. فزادهم ذلك جفاء و قسوة. هذه هي الحكومة العباسية الدينية ان يحكم السلطان باسم الله. ثم يعمل بعادات اهل الشرك. و يطرح سنة الانبياء و المرسلين!..

٥. انشد دعبل قصيدته التائية للامام الرضا عليه السلام، فاعطاه صرة فيها مال، فقال: اريد ثوبا من ثيابك اضعه في كفني، فاعطاه جبة خز، و سار من مرو مع القافلة، فاخذ اللصوص القافلة بما معها من مال و المتاع، و جعلوا يقتسمون الغنيمة فيما بينهم، فانشد احد اللصوص:

ارى فيئهم في غيرهم متقسما و ايديهم من فيئهم صفرات فقال له دعبل: لمن هذا البيت؟ قال: لشاعر اهل البيت عليهم السلام دعبل. قال: انا هو. فوثب الرجل و قال: انت دعبل؟ قال: نعم. فردوا كل ما اخذ من القافلة.و حين علم اهل قم بحديث الجبة طلبوا من دعبل ان يبيعها فأبى. فأجبروه على ذلك، و اخذوها منه، و دفعوا له الف دينار، فلما يئس من الجبة سألهم ان يعطوه منها شيئا، فاعطوه بعضها رحمة به.

٦.محمد سيد كيلاني قالها في كتابه «اثر التشيع في الادب العربي» ص ٢٢ طبعة القاهرة لجنة النشر للجامعيين.

المصدر: مغنية، محمد جواد، «الشيعة والحاكمون»، بيروت، دارالجواد، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.، صص ١٦٤-١٨٢.

إخوانا على سرر متقابلين

روي **الحافظ الطبراني** بإسناده عن **أبي‌هريرة** قال:

قال عليّ بن ابي‌طالب عليه السلام: «**يا رسول الله! ايّما احبّ اليك أنا أم فاطمه؟**»

قال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة احب اليّ منك و انت اعزّ عليّ منها و كأنّي بك و أنت علي حوضي تذود عنه الناس. و إنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء و انّي و أنت و الحسن و الحسين و فاطمة و شيعتك في الجنّة. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»[1] لا ينظر احدهم في قفا صاحبه.**[2]

و روي **أحمد بن حنبل** في «فضائل الصحابة» بإسناده عن علي عليه السلام قال: «**فينا – والله – نزلت هذه الأية «إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»**[3]

و روي أحمد بإسناده عن **زيد بن أبي‌أوفي** قال:

دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وآله مسجده، فقال: «**أين فلان؟ أين فلان؟**» فعل ينظر في وجوه أصحابه و يتفدهم و يبعث اليهم حتّي توافوا عنده، فحمدالله و أثني عليه فآخي بينهم و ذكر حديث المؤاخاة بينهم. فقال علي عليه السلام: «**لقد ذهبت روحي و انقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلتَ غيري. فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبي و الكرامة.**»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي بعثني بالحق ما اخّرتُك الّا لنفسي و انت منّي بمنزلة هارون من موسي، غير أنّه لا نبيّ بعدي و أنت أخي و وارثي.**»[4]

الهوامش:

١. سورة الحجر، الآية ٤٧.

٢. الطبراني، «المعجم الاوسط»، ج ٨، ص ٣٣٠، ح ٧٦٧١.

٣. ابن حنبل، «فضائل الصحابة»، ج ٢، ص ٥٩٧، ح ١٠١٨.

٤. نفس المصدر، ج ٢، ص ٦٣٨.

المصدر: عبدالرّحيم مبارك، «خير البرية والالطاف الإلهية»، بيروت، دارالعلوم، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ.، صص ٤٠٦-٤٠٧.